إتحاف ذوي النهى والبصائر

بتراجم الشيخ العلاوي وشيوخه وبعض خلفائه الأكابر

الشيخ عبد ربه البوزيدي



تحقيق ومراجعة

درويش العلاوي (غفر الله له ولطف به)

نسخة خاصة بأحباب الشيخ أحمد العلاوي

A.C.A.A (2023/1445)

بسم الله الرحمن الرحيم, الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه

يسُر موقع أحباب الشيخ أحمد العلاوي, ويسُرني شخصيا, الفقير إلى الله درويش العلاوي, أن أشرف على تحقيق ومراجعة وطباعة رقمية لكتاب "كتاب إتحاف ذوي النهى والبصائر بتراجم الشيخ العلاوي وشيوخه وبعض خلفائه الأكابر" للشيخ اليزيد البوجرافي المعروف بـ عبد ربه البوزيدي رضي الله عنه, الذي كان شيخ الزاوية العلاوية بأزغنغان بالمغرب.

وقد طبع ونشر هذا الكتاب عام 1990م, 1411هـ والحمد لله الذي أذن لهذا الكتاب بالظهور بعد ثلاثة وثلاثين سنة من تأليفه, حيث بحثت عنه طوال عشرين سنة, مثله مثل باقي النوادر كـ "برهان الخصوصية في الطريق البوزيدية" والذي نشر عام (2022م, 1444هـ) والحمد لله, وكذا كتاب "النجم الثريا في المآثر العلاوية" الذي ما يزال البحث عنه مستمرا, وأعلم أن هناك من يعلم بحاجتي لهذه الكتب ويقرأ طلبي وتسوُّلي للحصول على نسخة لكلا منهم, ولكن ما من أحد تكرَّم بالاستجابة, فكما يقال "لا حياة لمن تنادي".

يقول الشيخ أحمد العلاوي رضي الله عنه فيما يخص العلم المكتوب: "...وغير ذلك مما يحتاج إليه المريد, فكلما طالعه الإنسان يستفاد, وعندما يستفاد فيجيب عليه أن يفيد, إذ لا يحِّل لنا أن نكتم ما أنزل الله من البينات على العبيد, والله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب".

أكرر وأعيد, أما العبد الفقير, ففلسفتي في هذه الدار الفانية, هي ألا أدخِّر شيئا لنفسي وأتجنب الشحَّ, حيث قال أسيادنا رضي الله عنهم "أقبح قبيح صوفي شحيح", ولي في هذا المعنى واقعة تسببت بقدرة الله أن أكون من يتكلم باسم الشيخ العلاوي رضي الله عنه في بداية القرن الواحد والعشرين والحمد لله, ولهذا فإنني أشارك إخواني فيما وهبه الله لي, ولم أتأخر عنهم كعادتي ,كما تعلمون, في مشاركتهم لهذا الكتاب الذي يصعب اقتنائه.

بفضل هذا الكتاب, قام الشيخ عبد القادر دحاح البوزيدي رحمه الله, بالاقتباس منه وبتأليف كتاب حول الشيخ محمد البوزيدي وبه كذلك ترجمة شيخه محمد بن قدور الوكيلي رضي الله عنهما وسمَّاه "الأنوار القدسية الساطعة على الحضرة البوزيدية" وكان ذلك عام 2000م, 1421هـ وله الفضل في ذلك حيث أفادني هذا الكتاب في نشر ترجمتهما بموقعنا المعروف الذي كان سباقا على غيره, ولله الحمد والمنة والفضل.

ترجمة المؤلف الشيخ عبد ربه البوزيدي البوجرافي رحمه الله ورضي عنه

هو الشيخ اليزيد البوجرافي, من مواليد بني شقار عام 1925م, 1315هـ حفظ القرآن تحت إشراف والده والذي كان فقيها وإماما في مساجد مختلفة بمنطقة الريف وكان من فقراء الطريقة العلاوية أخذ مباشرة من الشيخ العلاوي رضي الله عنه.

في سن التاسعة عشرة "19" أي عام 1943م, 1362هـ قام برفقة والده وسيدي بن عيسى (الذي كان مقدم عن الطريقة العلاوية) بزيارة الشيخ محمادي بلحاج رضي الله عنه أحد خلفاء الشيخ العلاوي بريف المغرب, فاتخذه شيخا وأخذ عنه الطريق.

وذات يوم ذهب رفقة مريد آخر لزيارة شيخه محمادي بنية أخذ الاسم الأعظم, وبعد المذاكرة أمرهم الشيخ محمادي بمواصلة السير (إلى الله) مع الشيخ مولاي سليمان رضي الله عنهما.

فرح مولاي سليمان بمريده الحديث فرحا شديدا, ففي أحد الأيام من عام 1944م, 1362هـ قال الشيخ مولاي سليمان أمام جميع مريديه: "فلتشهدوا يا إخواني أن هذا الرجل أصبح اليوم ابني, فاحترموه". وفي مناسبة أخرى, لقبه شيخه مولاي سليمان بـ "البوزيدي", حيث قال للفقراء ذات يوم: "إن هذا المريد قد غيرنا له هذا الاسم (اليزيد) فلا تنادوه بعد اليوم باليزيد ولكن قولوا البوزيدي لأن مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه كان له مريد اسمه البوزيدي (محمد بن أحمد الغماري) وهو الذي ورث علمه كما أكد ذلك مولاي العربي بنفسه, وكذلك هو اسم مربي الشيخ العلاوي سيدي حمُّو الشيخ البوزيدي رضي الله عنهم أجمعين".

فمنذ تلك اللحظة قام سيدي البوزيدي بخدمة زاوية شيخه جسدا وروحا, لم يترك أبدًا صحبة شيخه الذي عَيَّنَهُ فيما بعد إماما للصلاة وكذلك مقدما للإشراف على الجموع التي تنظم بالزاوية.

ومن مميزاته أنه كانت له ذاكرة قوية حيث حفظ كل قصائد شيخه مولاي سليمان التي تبلغ 214 قصيدة, وكان يختار لحنًا مناسبا لكل منها, وكان معروفًا بصوته العذب.

في إحدى المناسبات, قال الشيخ مولاي سليمان لسيدي البوزيدي: "ضاعف مجهودك واعمل بجد لأنه بعد ثماني "8" أيام سينتقل الشيخ محمادي (إلى الرفيق الأعلى) وسنؤسس نظامًا جديدًا (أي الاستقلال بالطريقة) وحدث ذلك تمامًا كما قال حيث وَصَلَ نبأ وفاة الشيخ محمادي رضي الله عنه عام 1946م, 1365هـ وانظم جميع الفقراء دون استثناء إلى الشيخ مولاي سليمان رضي الله عنه.

ذات ليلة حلم البوزيدي أن شيخه قال له: "قم واجتهد وأزوجك (أهلي) ظاهرا وباطنا." فحدث ذلك, حيث في عام 1947م, 1366هـ زوجه الشيخ مولاي سليمان من ابنته واعتنى بنفقة المهر نيابة عنه, لأن سيدي البوزيدي كان فقيرًا للغاية.

انخرط سيدي البوزيدي في بداية أمره في الجيش, وكان له, بفضل الله, تأثيرا كبيرا على زملائه العسكر, حيث دخل في الطريقة عدد كبير منهم, وكان يقيم الجموع للذكر في الثكنات.

غادر الجيش عام 1953م, 1373هـ, وركَّز كل جهوده لخدمة شيخه والطريق بعد الحصول على إذنه في ذلك.

أمضى العامين التاليين بدون عمل, ثم عمل بعد ذلك حارساً لإحدى الشركات الأجنبية بالناظور حيث توجد زاوية شيخه, وحتى في هذه الوظيفة استطاع أن يجلب إلى الزاوية أكثر من خمسين "50" من زملائه الذين دخلوا في الطريقة.

ازداد عدد الفقراء ولم يكن باستطاعة مساحة الزاوية استيعابهم, فقرر البوزيدي توسيعها, فشجع الفقراء بالتبرع ودعم المشروع, وحصَّل على مساعدة مجموعة من المهندسين المعماريين الإسبان الذين قاموا بتركيب قنوات المياه والكهرباء في الزاوية, ولما انتهت التوسعة عقد جمعا كبير للاحتفال بالحدث.

لما بلغ الشيخ مولاي سليمان ثمانين "80" عامًا, كان غير قادرا على المشي أو مغادرة بيته, فكان البوزيدي المسؤول عن أسرة شيخه, حيث قام بخدمتها على أكمل وجه وتولى شؤون الزاوية وتنظيم المناسبات الدينية والسياحات رفقة الفقراء إلخ...

لما شعر الشيخ مولاي سليمان باقتراب أجله, جمع أقرب مريديه وقال لهم: "سأخبركم بكل ما قاله مولاي العربي في رسالته التي تحدث فيها عن مريده البوزيدي: لم يخدمني أحد مثل البوزيدي, ولا أحد دعمني مالياً مثله, ولا أحد يعمل بلا كلل كما فعل, رغبتي أن يَؤُمَ الصلاة في هذه الزاوية ويكون إماما للفقراء". ولكن ومع ذلك, كان مولاي سليمان مدركًا تمامًا أن الحسدة كانوا يتربصون بسيدي البوزيدي, فقال له: "إذا تركوك في الزاوية فأنت إمامها, وإلا غادر مع أطفالك وزوجتك, وأينما ذهبت, ستكون موفقًا إن شاء الله", كما طلب منه أن يصطحب معه زوجة شيخه وولديه سيدي عبد العزيز وسيدي محمد.

في عام 1970م, 1390هـ توفي مولاي سليمان عن عمر ناهز 103 سنة, وكان من المقرر أن يبقى سيدي البوزيدي في الزاوية في العامين المقبلين, ولكن امتحنه الله بابتلاء فغادر الزاوية بناءً على وصية شيخه وأقام زاويته في زغانغان حيث لحقه غالبية فقراء الشيخ مولاي سليمان رضي الله عنه. وبقي خادما للطريق منذ

ذلك الوقت حتى وفاته في 28 ديسمبر 2012م, 14 من صفر 1434هـ, عن عمر ناهز سبعة وثمانين "87" عامًا, رحمه الله ورضي عنه, وخلفه ولده سيدي عبد الرحيم في مشيخة الزاوية.



الشيخ عبد ربه البوزيدي البوجرافي رحمه الله ورضي عنه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَصلى الله على سيدنَا مُحَمَّد وآله وصحبه

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين وعلى أله وصحابته أجمعين

أما بعد

فقد جاء في الحديث المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿**لا تَزالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِ, لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خالَفَهُمْ وَلَا مَنْ خذَلَهُمْ حتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكْ**﴾.

ومن أشرف هذه الطائفة جماعة الصوفية حياهم الله فإنهم القوم الذين قاموا بخدمة المولى عز وجل, والانقطاع إليه والتعلق به تعالى والتوكل والاعتماد عليه والمثابرة على ذكره ليل نهار. وطرقهم وإن تعددت بتعدد المشايخ والمرشدين والوظائف والأوراد فهدفهم متحد, فهم جميعا متفقون على السير إلى الله عز وجل والتحقيق بمقامات اليقين من التوبة والزهد والورع والخوف والرجاء والتوكل والمحنة والأنس بالله والرضى, ثم الفناء في المحبوب والتحقق بمقام الإحسان, أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وهذه الجماعية لا تنقطع بإذن الله, فكلما غاب داعية منها خلفه مرشد أخر مثله أو خير منه يرث علومه وأسراره وأحواله التي كانت متجلية فيه ومتحققاً بها, ويصبح بين عشية وضحاها فانياً في مولاه عاكفاً على باب حضرته قد لقن الحكمة فضلاً من الله ورحمة منه, قد لا ينالها بكثرة الأعمال ولا بإنفاق الأموال, وإنما يحصل عليها بالذل والانكسار مع فضل الله العزيز الكريم الذي يتفضل بما شاء على من شاء ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الجمعة, 4).

وستمر بك سلسلة الطريق, المشيدة بأكابر العارفين والأئمة المصلحين, كل واحد منهم كان قطب أهل زمانه, وفرد أوانه, قد تأدب على شيخه وصحبه وخدمه وتذلل له, وأطاعه في أمره ونهيه تبعاً لطاعة مولاة وصبر على ذلك حتى أعطاه الله ومنحه من معرفته ما قدر له, ولذلك قال السادات الصوفية: "من استخدمناه

قدمناه", وقالوا: "سبب الوصول خدمة الرجال", وقال ابن عطاء الله في إحدى حكمه "لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين".

وهذا لا ينبغي لأحد أن يدعيها إلا بعد ما يؤدي حقها ويصاحب أهلها, ويكون خادماً لهم لا يتحرك إلا بإذنهم, ولا يعمل إلا بإشارتهم ويكون حافظاً لحرمتهم, ويرعى صحبتهم ويلبس شعارهم ويتحل بزيهم, ثم يأخذ الأدب من أدبهم والتربية من تربيتهم. فمن ادعاها بدون محبة أهلها فقد ادعى المحال, وأكثر من يدعيها اليوم أهل البطالة الذين ليس لهم من الطريق إلا الاسم, يتحدثون عن سير الصوفية الأقدمين ويزعمون انهم على طريقتهم وهم واقفون مع حظوظ نفوسهم.

فليكن المريد على حذر من هؤلاء الأدعياء, وليزن أحوالهم بأخلاق الصوفية, فإن كانت مظاهرهم وأعمالهم وأحوالهم على طريقة الصادقين متمسكين بالسنة النبوية سائرين على وفق شريعتنا الغراء, كانوا هم القوم الذين يقتدي بهم المريد, ولأمثال هؤلاء أشار إليهم شيخنا العلاوي رضي الله عنه في قصيدته اللامية فقال:

مريـــد المعـــنى له سمـــة في وجهـــه ونـــور عـــلى الجبـــين ضـــاء فـــتلألأ

فالفقير إذا خصه الله بالعقل والشعور, لا يخفى عليه ذوق لسان أهل التربية وحال أهل المعرفة, كما لا يخفى عليه حال أهل الدعوى وأهل الحظوظ النفسية, فهذا شأن المريد الصادق الذي يريد إنقاذ مهجته, ويسعى في طلب معرفة ربه. اللهم لا تحرمنا من ملاقاة أحبابك الذين اصطفيتهم من خلقك يا رب العالمين.

سند الطريق

ولما كانت سلسلة الطريق متعلقة بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم, تعين على كل مريد بل على كل مسلم مؤمن أن ينخرط فيها بأخذ العهد من أهلها الذين لهم الإذن من أربابها, وسنذكر هذه السلسلة المتصلة المباركة برسول الله صلى الله عليه وسلم مبتدئين فيها بمشايخنا الأواخر وهي كالآتي:

أخذنا هذه الطريقة المباركة عن الشيخ سيدي مولاي سليمان وعن الشيخ سيدي محمادي بلحاج, وهما أخذاها عن الشيخ الكبير والمربي الشهير سيدي أحمد العلاوي معاً, والشيخ العلاوي أخذها عن شيخه سيدي محمد البوزيدي عن شيخه سيدي محمد بن قدور الوكيلي عن شيخه سيدي محمد بن عبد القادر الباشا ثم عن شيخه سدي بوعزة المهاجي عن شيخه سيدي مولاي العربي الدرقاوي عن شيخه سيدي علي الجمل عن شيخه سيدي محمد العربي بن عبد الله عن شيخه سيدي أحمد بن عبد الله عن شيخه سيدي قاسم الخصاصي عن شيخه سيدي محمد بن عبد الله الكبير عن شيخه سيدي عبد الرحمن الفاسي عن شيخه سيدي يوسف الفاسي عن شيخه سيدي عبد الرحمن المجذوب عن شيخه سيدي علي الصنهاجي المشهور بالدوار عن شيخه سيدي إبراهيم الفحام عن شيخه سيدي أحمد الزروق عن شيخه سيدي أحمد بن عقبة الحضرمي عن شيخه سيدي يحي القادري عن شيخه سيدي علي بن وفا عن أبيه وشيخه سيدي محمد وفا بحر الصفا عن شيخه سيدي داوود الباخلي عن شيخه بان عطاء الله الإسكندري عن شيخه أبي العباس المرسي عن شيخه أبي الحسن الشاذلي عن شيخه سيدي مولاي عبدالسلام بن مشيش عن شيخه سيدي عبد الرحمان المدني عن شيخه سيدي تقي الدين الفقير بالتصغير فيهما عن شيخه سيدي فخر الدين عن شيخه سيدي نور الدين عن شيخه سيدي تاج الدين عن شيخه سيدي شمس الدين عن شيخه سيدي زين الدين القزويني عن شيخه سيدي إبراهيم البصري عن شيخه سيدي أحمد المرواني عن شيخه سيدي سعيد عن شيخه القطب سيدي سعد عن شيخه سيدي سعيد الغزواني عن شيخه سيدي أبي محمد جابر عن أول الأقطاب سيدنا الحسن سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبيه وشيخه أمير المؤمنين ووزير وصهر رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا علي كرم الله وجهة باب مدينة العلم عن سيدنا وحبيبنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سيدنا جبريل عن الله الرب الجليل جلّ جلاله وعز سلطانه.

فهذه السلسلة المباركة المتصلة المطهرة المرتبطة ببعضها من صدر قطب إلى صدر قطب إلى رسول الله عن إلى سيدنا جبريل إلى الحق سبحانه وتعالى.

فينبغي لكل مريد أن يكون سنده متصلا بهؤلاء الأقطاب منخرطا في خرصة من سلسلتهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, وإلا كان مقطوعاً مبتوراً دعياً لا ولد له في الطريق.

ترجمة شيخنا العلاوي رضي الله عنه

ذلكم الشيخ المرشد المربي الذي أحيى الله تعالى به الطريق وعمت بركاته كل الآفاق, فلقد أظهر الطريقة بعد خمولها وأحياها بعد خمودها وجددها بعد تلاشيها ونشرها بين العباد في الحواضر والبوادي بعد تغربها, فهذه ترجمته تلقيناها من خلفائه رضي الله عنهم كالشيخ سيدي سليمان وسيدي محمادي بلحاج, ومن بعض السابقين الذين تقدمت لهم صحبته ومجالسته, وحكوا لنا ما سمعوا منه مباشرة, ولا زال بعضهم على قيد الحياة والحمد لله, وما ذكرت فيها إلا ما صح عندنا مما تلقيناه عنهم فله الحمد والمنة, فقد رأينا من رآه ببصره الحاسة وشهدنا من شهده بعين قلبه, كما جاء عنه رضي الله عنه في بعض قصائده حيث قال:

فــــالله يعـــــلم بشــــأني　　يحفظــــني فــــيما بَقِيَـــــا
ويحفــظ جميــع إخــواني　　مــــن الفـــتن القلبيـــــة

ومـــن دخـــل في ديـــواني　　ومـــن حـــضر في جمعيـــا
ومـــــن رأى مــــن رآني　　إذا كانــــت له نيــــــة

وقد أفردنا هذا الكتاب لذكر بعض ما يتعلق بحياته ودعوته والإلمام بذكر أشياخه وسلسة طريقته, والإشارة إلى من أخذ عنه وانتشرت الطريقة على يده.

نسب الشيخ سيدي أحمد بن مصطفى العلاوي قدس الله روحه في الجنة والجنان

هو الإمام العارف بالله القدوة الداعية, الشيخ الأكبر قطب زمانه, الفرد المعظم المشهور بتلقين الاسم الأعظم, أبو العباس سيدي أحمد بن مصطفى بن محمد بن أحمد المعروف بـ "بوشنتوف" بن الولي الصالح الملقب بـ "مدبوغ الجبهة", بن الحاج علي المعروف عند العامة بـ "عليوة" ابن غانم, وهذا الأخير هو القاضي الحنفي الذي قدم من الجزائر العاصمة إلى مستغانم حيث قال فيه صاحب "سبيكة العقيان فيمن بمستغانم من الأعيان" الشيخ سيدي محمد ابن حواء التوجيني المستغانمي المتوفي حوالي 1180هـ 1767م:

والحــــــنفي الـــــلازم التعبـــــدِ　　نجـــل عليــــوة الفقيــــه المهتــــدِي

وبهذا سميت طريقته الواضحة في كل مكان, وهي الطريقة العلاوية بعدما كان تعرف من قبل بالشاذلية الدرقاوية, أما باقي النسب فيطلب من بعض مؤلفاته رضي الله عنه وأرضاه.

ولادته ومسقط رأسه

أما ولادته رحمه الله تعالى ورضي عنه, فكانت بمدينة مستغانم الجزائرية, سنة **1291** هجرية الموافق لـ **1874** ميلادية, وبعد أن شبَّ الشيخ رحمه الله تعالى وحصل ما قدر له من الثقافة الإسلامية, توجهت همته لطلب شيخ التربية, الشيخ المرشد المربي ليأخذ بيده ويتوجه به إلى الله, وكان دائما يفكر في ذلك ويسأل الله تعالى. ولما لم يقدر له شيء, ظهر له يوما أن يخرج فيتجول في المدينة لعلّة يلتقي برجل صالح مبارك ينتسب إليه ويصاحبه مادام لم يظهر له شيخ التربية, فاتصل بأحد مقدمي الطريقة العيساوية من أهل البركة ومن الصالحين فأخذ عنه والتزم بوظائف الطريقة العيساوية وأورادها, وكان في هذه المدة محافظا على شعائر الدين متسماً بزي الصوفية ومتشبها بالصالحين, كثير الذكر والعبادة مقبضاً عن أهل الغفلة, لا يركن إليهم أبدا, مجاهدا نفسه على طاعة مولاه, مجانباً كل ما يلهيه عن الله. وكان لا يتخلف عن حضور الصلوات في الجماعات, وكان محافظا على الطهارة الحسية محافظا على النظافة, ملازما المجالس العلمية وخاصة العلماء العاملين منهم. وكان لا يصاحب إلا الأخيار, وكان يحب مطالعة كتب التصوف خصوصاً مناقب شيخه سيدي محمد بن عيسى, وبما أن نيته كانت صالحة توجه بالسؤال إلى الله في طلب الشيخ المربي فأجاب الله دعوته فهيأ له من يأخذ بيده ويربيه ويرقيه, والله تعالى إذا أراد شيئاً هيأً أسبابه.

فقد كان من قدر الله أن عمل شركة تجارية مع بعض المريدين المنتسبين إلى الطريقة الدرقاوية التي كان يمثلها بمدينة مستغانم العارف بالله القطب أبو عبد الله سيدي محمد البوزيدي, وكان يأتيهم إلى متجرهم الحين بعد الحين, وكان في أثناء تلك الفترات يغتنم فيهم الفرص فيرشدهم ويتذاكر معهم في الطريقة وأحوالها, فتأثر بذلك الشيخ لعذوبة كلام سيدي محمد البوزيدي حيث كان متوجهاً بقلبه وسهام المذاكرة تبرز على لسانه وتقع في صميم سويداء قلبه, وغليان محبة الله تفيض على إحساس جسده, والى هذا المعنى أشار في قصيدته "حاديَ القومِ باللهِ يا حادي" مشيرا فيها إلى شيخه فقال:

إِنْ رَمَيْـــتَ سَهْـــمَ النُطْـــقِ بَيْنَنَــا أَصَـــابَتْ أُذُنَ الـــواعِي وَلِيَّ كَبِـــدِي

فهذب أخلاقه بتلك الحلاوة اللذيذة في مذاكرته, فكان لا يستطيع التحرك من مكانه بعد مدة طويلة, وكان يمعن نظره في تلك المذاكرة, ويبقى فيها حائراً لكونه لم يتقدم له سماع مثلها في جميع المجالس العلمية التي سبق له أن حضرها, وكان إذا فرغ معهم من المذاكرة يقول الشيخ لشريكه "والله إن لهذا الرجل لشأناً عظيماً.

فلما تحقق لديه قوّته وأنه الشيخ الكامل الذي طالما كان يبحث عنه ويطلبه, تعلق قلبه بمحبته الكاملة فأخذ عنه حينذاك الطريقة الدرقاوية الشاذلية, فكان يحضر في جمعه ويذكره بين إخوانه, وقد جعل له مرة إشارة على قتل نفسه فقال له: "يا سيدي بماذا يكون قتل النفس؟" فقال له: "بذكر اسم الله الأعظم".

ثم لقنه الاسم المفرد, فكان يذهب لضريحٍ هناك وسط المقبرة يذكر فيه اسم الله الأعظم, فأمره أن يلزم بيته ويذكر الله فيه وأن ما قدر له سيأتيه إلى بيته. وهكذا بقي على حالته حتى فتح الله عليه الفتح الأكبر.

وكان خلال أيام سيره تأتيه الواردات والمعارف, وتثقل عليه فيشكوا ذلك لشيخه, فكان يأمره بكتابة ما يرد عليه. ففي تلك المدة ألف بعض الكتب, منها كتاب "المنح القدوسية في شرح المرشد المعين على الطريقة الصوفية" وكتاب "مفتاح الشهود في مظاهر الوجود". وحين كان يأتي بتأليف من تأليفه إلى شيخه كان هذا الأخير يأخذ الكتاب ويضمه إلى صدره ويظهر له من الفرح والسرور به ما لا يتصور في عقل, حيث أتاه الله بهذا المريد الجليل الذي فتح الله عليه بسبب اتصاله به.

وقد قضى في صحبة شيخه خمس عشرة سنة ملازماً له ومتجرداً لخدمته بنية صالحة وصحبة مرضية وقلب سليم متوجه بكليته, وكان يواسيه بماله وينفق عليه كل ما حل بيده وما كان لديه ويقوم بشؤونه وشؤون أهله وداره في حياته, وبقي على ذلك بعد مماته لأنه لما توفي شيخه استخلفه في أهله, فقام بأمرهم بعده, وقد كان كلفه بذلك وحمل التكليف وأذن له بالتصريف, وأشار لهذا رحمه الله في بعض قصائده ببعض الآيات فقال:

الله أذن لنـــــا بالتصـــــريف في ذاك الـــــسر اللطيـــف
فيـــــا حبـــــذا التكليـــــف بالـــــرضى جـــــزاه الله

ولما كان في صحبة شيخه كان يرافقه في إقاماته وترحاله, وحضروا يوما في مسجد احتفل فيه أهل البلاد لضيف نزل بهم (الشيخ محمد ظافر المدني الصفاقسي) وكان شيخ من شيوخ بعض الطوائف حاضرا (الشيخ الحرَّاق بن كريتلي) , وقد اجتمع عليه العامة والخاصة, وكانوا يعظمونه ويحترمونه, وبينما هم على ذلك إذا بالرجل (الشيخ محمد ظافر المدني) ينادي الآخر (الشيخ الحرَّاق بن كريتلي) "يا سيدي الحراق". فسمعه

سيدي البوزيدي فقال: "لا يسمى حراقاً حتى يُحرق من عرشه إلى فرشه, فسمع الشيخ الحاضر (الشيخ محمد ظافر المدني) ما قاله سيدي البوزيدي فقال: "من هذا الرجل الذي تكلم بهذه الحكمة؟", قالوا له: " هذا سيدي حمو الشيخ", فصمت الشيخ طويلا ولم يتكلم, ثم ناداهم: "أيها الإخوان غداً إن شاء الله كل واحد منكم يكتب في ورقة كل ما خطر على باله وليات بها إلي". وقد كلف سيدي محمد البوزيدي تلميذه أحمد بن عليوة أن يكتب له في ورقة. فلما كان الغد حضروا بالأوراق ووضعوها أمام الشيخ, كل واحد منهم كتب ما خطر في قلبه. وجاء سيدي بن عليوة بورقة وألقاها بين الأوراق, وكان الشيخ يطالع الأوراق واحدة بعد واحدة, فسقط على ورقة فيها هذا البيت:

إن شـــئت بنظـــرة تســـقي الأنام وإن شـــت بلمحـــة تفـــني العـــالم

فأمسكها وقبض عليها بيده وقال: "خذوا هذه الأوراق واحرقوها", ثم قال: "من كتب هذه الورقة؟", قالوا له: "هو مريد ذلك الرجل الذي تكلم بالأمس", فقام الشيخ وتكلم بأعلى صوته وقال: "يا أهل مستغانم, إن كان مرادكم الله فبلدكم عامرة, وأنا لا تنظروني هنا بعد هذا اليوم".

فذهب ولم يرجع إلى بلد مستغانم من ذلك الوقت, فالله يؤتي الحكمة من يشاء.

فقد لُقِّنَ سيدي البوزيدي سر الله عز وجل, وجاء به من بلد الريف واحتفظ به حتى ألقاه إلى وارثه الذي كان في انتظاره منذ زمن طويل, وبهذا نطق الشيخ العلاوي في بعض أنشاده فقال:

قـــد ســـقينا كؤوســـاً فيهـــا حكمـــة مـــن يـــد البوزيـــدي قطـــب الأنام

فنلنـــا مـــن فيوضـــاته نســـمة بهـــا فـــزنا وحـــزنا مـــا يرام

وعندما فاضت عليه أنوار الجلال وحصل له التمكين, صدع بأمر الله تعالى فشاع ذكره وانتشر صيته وبلغت دعوته سائر الأقطار والأمصار ودخلت حريقته كل القرى الشرقية والغريبة.

استقلال الشيخ بالدعوة إلى الله والإرشاد لعباده

ثم استقل الشيخ العلاوي بالدعوة والإرشاد لعباد الله بعد موت شيخه, وإذا أراد الله شيئا هيأ أسبابه, فبعد انتقال شيخه سيدي محمد البوزيدي للدار الباقية الخالدة, جعل يجتمع مع إخوانه في الشيخ بأدب

واحترام مع كثرة الصمت وعدم الدخول في شؤون الإخوان وأمورهم إطلاقا, ثم إذا حضر معهم جلس أخرهم, ثم اتفقوا فيما بينهم على أن يقدموا واحدا منهم ليكون خليفة عن شيخهم الراحل, فأشار أحدهم ممن تقدمت صحبته للشيخ سيدي محمد البوزيدي وهو سيدي محمد بن عودة, بأن كل من رأى رؤيا منا يقصها علينا كما رآها. فاتفقت رؤياهم على تقدم سيدي أبن عليوة, فقدموه وشيخوه وسلموا له الإرادة. فلما طاب وقته وهبت نسمته استنشقها العباد من كل بلد, وبادروا لملاقاته والتعلق بطريقته وهي طريقة جديدة, طريقة الأنوار والأسرار بعثت في القرن الرابع عشر هجري, فجعل الناس يأتونه من كل جهة ومكان أفواجا, أفواجاً, رجالاً ونساء. وأول من أتاه متعلق به أهل القبائل المجاورة لمستغانم, وذلك بسبب سياحته التي كان يعقدها الحين بعده الحين لأجل الدعوة ويصحب معه المنشدين, وكان يقضي في سياحته أسبوعين فأكثر, فإذا رأى من المنشدين فتورا وكسلا, رجع بهم إلى الزاوية ليستريحوا ثم يذهب بآخرين وهو يجاهد في سبيل نشر الدعوة والإرشاد. وكان رحمه الله قويا صحيحا لا يعجز ولا يتكاسل, وكان ابتداء ظهوره سنة 1328هجرية, 1911 ميلادية.

طريقته في التربية

كانت طريقته في التربية أن يأمر المريدين بالتزام شعائر الطريق ومراسم الصوفية مع المحافظة التامة على شعائر الدين وتحسين الهيأة وارتداء الملابس الإسلامية مع توفير اللحى ووضع السبح في الأعناق.
قد ذهب مرة في السياحة إلى مدينة تلمسان, وكانت الطريقة قد انتشرت بين الشباب هناك في تلك المدينة, فاجتمعوا عليه وجلسوا بين يديه في نشوة واشتياق, فرأى لباسهم على غير هيئة الطريقة, فأمرهم أن يتشبهوا بشعار الصوفية وأن يتحلوا بزي الصالحين, فامتثلوا أمره, فلما رجع إليهم مرة أخرى وعلموا بقدومه خرجوا لملاقاته فرأى عليهم مظاهر أخرى جميلة بعمائم بيض موفرين لحاهم والسبح في أعناقهم والعباءات البيض فوق ملابسهم, فلما رأى تلك الهيأة, حصل له وجد وانتعش بذلك. فلما قفل ورجع لزاويته, جعل يفكر في شأنهم وأحوالهم فأنشد في ذلك قصيدة يقول فيها:

يا أهــلَ أهــلِ ودي حســـبي رضـــاكم

شــــوقي زاد فـــيكم ملكــــني هـــواكم

أحبـــــاي أنـــــتم ‏ ‏ تيهـــــني معنـــــاكم

أبى القلـــب مـــني ‏ ‏ أن ينـــسى لقـــاكم

أخـــذتم فـــؤادي ‏ ‏ فـــذاك فـــداكم

تركـــتم سهـــادي ‏ ‏ ينـــبي عـــن هـــواكم

وكان رضي الله تعالى عنه يأمر الفقراء بالأدب والأخلاق الحسنة والإكثار من ذكر الله والاجتماع مع الإخوان, وكانت مذاكرته ومواعظه مؤثرة تخشع لها القلوب وتدمع لها العيون, ويسمع للمريدين عندها صياح وشهيق حبا في الله تعالى وشوقا إليه شأن أهل الطريق, ويقومون للرقص مع طول الوقت, لا يتكاسلون ولا يملون, وكان رضي الله عنه يدخل في حلقة الحضرة وله صوت مرتفع يحرك به الفقراء, وكان يُعَلِّمُ الفقراء في الحضرة, إذا رأى أحدهم أطرق برأسه رَفَعَهُ, وإذا فتح عينيه غمضها له, وإذا رفع رجليه عن الأرض وضعها له, واذا رآه بعيدا عن أخيه قربه إليه, ويجعل القوي مع القوي والضعيف مع الضعيف, والطويل مع الطويل والقصير مع القصير حتى تكون الحضرة في غاية النظام ويكون الرقص على أحسن ما يرام, وكل ذلك كان يفعله معهم بالرفق والليونة والشفقة وكرم الأخلاق.

وكان ذات يوم جالساً مع الفقراء فقال لهم: "من قام منكم إلى الرقص فعليه أن يؤدي الغرامة", فلما سمعوا منه ذلك, جعل كل واحد منهم يملك حاله أدبا معه, فلما طال الوقت صفق بيده وقام للرقص وقام معه الفقراء, فلما تمت الحضرة جلسوا فأدخل يده لجيبه وأخرج قدرا من الدراهم فطرحها في وسطهم إنصافا لنفسه, وقال لهم: "مالكم تركتم الحضرة, لما الإنصاف؟".

طريقته في الخلوة

الخلوة من شعائر الصوفية اتباعاً للنبي صلى الله عليه وسلم في خلائه بغار حراء, واتخذوها لتهذيب نفوسهم ولتسموا أرواحهم حتى يكونوا متهيئين لتحمل السر الإلهي ومعرفة الله عز وجل, ولذلك اتخذها شيخنا العلاوي رضي الله عنه, فكانت زاويته عامرة بالواردين من كل بلد, لا ترى فيها إلا الذكر والحضرة وسماع

الاسم المفرد, وكان قد خص مواضع خاصة لذلك, فكل من انتسب إليه أدخله الخلوة ليثبت ويرشح في الطريقة ويأخذ ما قدر له من الفتح الإلهي.

وكانت طريقته في إدخال المريدين الخلوة أن يأمرهم بذكر الله تعالى باستمرار ويكون ذلك مركزا على الاسم المفرد "الله" بتشخيص حروفه والتفكر فيه وفي عظمته وقطع كل العلائق عن سواه تعالى.

وكان كل من قصده بنية صالحة ومحبة خالصة وحسن التوجه فتح الله بصيرته على يده, ونوَّر سريرته. كان المفتاح في يده بإذن الله, ويوصل الخلق إلى حضرة الله عن طريق اسم الله المفرد لا عن طريق كثرة العبادة والأوراد, وكان له الإذن الأوفر في تلقين اسم الله الأعظم للمؤمنين والمؤمنات, وحقه ألا يحرم أحداً من حظه كما قال رضي الله عنه في قصيدة له:

لســـــت فـــــاشي ولا كاتم بيـــــــــنهم وبينــــــــا

نـــؤتى الحكمـــة ولا نحـــرم مـــــن حظـــــه فينـــــا

وكان الفتح على يده للمريدين في أقرب وقت, فمنهم من يذكر ساعة ومنهم ليلة ومنهم ليلتين, ومنهم على حسب الصدق والإخلاص والاستعداد, وفراغ القلب من الشواغل والسوق, وتعلقه بالواحد الأحد. كل من أخذ التلقين على يده وبإذنه سلك ووصل وكان من العارفين إن احتفظ على ذلك بمداومة ذكر الله تعالى والجلوس مع إخوانه, فلا يوجد في جميع المريدين المتعلقين به وأخذ الاسم على يده مجنون أو مختل العقل, لأنه كان رضي الله عنه يشرف على أهل الخلوة بنفسه ويراقبهم ويتعهدهم ويسألهم كما يظهر لهم ويصادر منهم, فإذا كان له شغل كلف بهم بعض من يراه من الأكفاء أهلا لذلك.

ويجب أن يلاحظ أن أهل هذا الطريق طريق خطير شائك, فمن سلكه بلا شيخ عارف يخشى عليه من تلاعب الشيطان به, فيخسر دنياه وأخراه والعياذ بالله تعالى. وكل المريدين الذين اخذوا الفتح من يده, وتمكن الاسم في قلوبهم, فلا تسمع في جميع حركاتهم وسكناتهم إلا الله, لأنه مرتبط بلسانهم, وكانت تجري بينهم المذاكرة في المعاني وعلم الإشارة ولهم ذوق وحلاوة فيه, ذلك عنوان الفتح وسر الشيخ يظهر في اتباعه المخلصين.

النظام السائد في زاويته

كان لزاويته نظام خاص, فقد كان خصص معلماً للأطفال للكتابة والقراءة وتحفيظ القران الكريم, وقد كان عين بعض العلماء لإلقاء الدروس وتعليم الفقراء الأميين فاتحة الكتاب وبعض السور وما يحتاجون من ضروريات دينهم, وكان له مؤذن خاص وإمام يؤم بزاويته في الصلوات الخمس, وهكذا امتد نظام زاويته على هذه الحالة حتى لقي ربه رضي الله عنه وأرضاه.

الاحتفال السنوي في حياته

جرت عادة القوم الصوفية, أن يعقدوا مواسم في مناسبات يجتمع فيها كل الإخوان لتجديد العهد وتوثيق الصلة فيما بينهم ولمصالح كثيرة يتطلبها الحفل, وكان شيخنا العلاوي قد أسس احتفالاً سنوياً مرة بزاويته الكبرى بمستغانم وتارة يعقده بعاصمة الجزائر, وكان يستدعي لذلك كل الفقراء حيثما كانوا, كما يستدعي بعض العلماء وأكابر الدولة من رؤساء وقضاة ليشهدوا مراسم الطريق وعلى ما أسست, وكان يحضر في هذا الحفل الألاف من الفقراء, فإذا حضروا وهم على أشكال وأنواع اجتمعت القلوب كقلب رجل واحد وتعلقوا بمرشدهم الذي جمعهم بهمته وسقاهم بنظرته, ويحصل فيه من الوجد والخشوع وخفقان القلوب واهتزاز الأشباح واتصال الأرواح ما كان يحملهم على القيام للرقص.

وعند حلقة الحضرة, كانت تبدأ من بعد صلاة العشاء وتستمر إلى غاية صلاة الصبح. وكان الاحتفال في وقته فيه الحرية التامة للفقراء بإذنه لا مانع يمنعهم ولا واحد يقهرهم, فإذا حركهم الشوق وحضر لهم الوجد وتجلى لهم نور الله وشهدوا جمال الله, قاموا إلى الحضرة شكرا لله, وكان عقد حلقة الحضرة والذكر من أهم طريقته وفي ذلك يقول في إنشاده:

صـفت النظـرة طابـت الحـضرة جـاءت البـشرى لأهـــــل الله

قـاموا سـكارى لـــذي البشـارة جعلـــوا عمــارة شــــــكرا لله

أيهـا الحـاضر أذكـر وذاكـر إياك تنكـــــــر حـال أهـل الله

فســلم لهـــم فـــيما عــــراهم وأعــــلم أنهـــم غـــــابوا في الله

فالوجـــد فـــيهم داعي يـــــدعيهم يطـــرا علـــيهم في ذكـــــــر الله

ومـــن لم يجـــد فليتواجـــــــــد قصـــدا يتعـــرض لفضـــــــل الله

هكـــذا قـــالوا ولـــــذا مـــالوا ولقـــــد غـــابوا في ذكـــــــر الله

حـــتى قـــد ظنـــا مـــن لـــيس منـــا أنا جننـــــــــا بـــــــــذكر الله

هنيئـــــا لنـــــا ثم بـــــــــشرانا إن كان لنــــــــا حمــــــق في الله

ففي هاته القصيدة التي انشدها دليل عنده على حرية الفقراء حالة الاحتفال أو غيره, بحيث لهم الحق في القيام للرقص أي وقت شاءوا إذا حصل لهم وجد, ولا حق لأحد كائنا من كان أن يمنعهم أو يعارضهم سواء كان عالماً أو شيخاً.

وطريقته رضي الله عنه لازالت على حالتها كما كانت في حياته تزيد ولا تنقص, تقوى ولا تضعف إلى أن يأتي امر الله تعالى, فالاحتفالات والاجتماعات التي أسسها هي الموجودة بين أصحاب الطريق, إلا ما غيره وبدله بعض المنتسبين إليها من تلقاء نفسه, فخرج بذلك عن سيرته.

وكان الاحتفال أيام الشيخ يستمر ثلاثة أيام, وبعد صلاة الظهر من اليوم الثالث ينادي من أراد أن يلقي خطبته على مسامع الحاضرين فليتقدم, وكان الشيخ العلامة سيدي علي البوديلمي رحمه الله هو الذي كان يقدم أسماء الخطباء إلى تركيز خطبهم, وكان شيخنا العلاوي يراجع الخطب قبل إلقائها, فإذا وجد فيها ما لا يناسب المقام ضرب عليه, وكان يرشد الخطباء إلى تركيز خطبهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله والترحيب بالمؤمنين الحاضرين.

وكان وقت الخطب يبدأ بعد صلاة الظهر ويستمر إلى وقت العصر, فإذا أذن المؤذن تقدم الشيخ للصلاة بالحاضرين أو يأمر بعض العلماء بالإمامة, فإذا فرغوا من الصلاة رفع الشيخ يديه داعيا مع الحاضرين ذكرانا وإناثا كبارا وصغارا, ويخص العلماء بالدعاء لقيامهم بالأمانة العلمية وحملهم راية العلم ثم يدعو مع سائر المسلمين وعلى العموم ويدعوا مع الأمراء ورؤساء الشعوب الإسلامية, ويدعوا بكل ما فيه صلاح للمسلمين, هكذا حدثنا الشيخ سيدي علي البوديلمي وقال: "كان يبلغ عدد الحاضرين في الاحتفال ستة آلاف شخص أو أكثر".

ثم بعد انقضاء الحفل يتفرق الإخوان ويذهب كل إلى بلده فرحين مسرورين منتعشين بذلك الجمع العظيم الذي قل نظيره في رجال الطريقة وقته.

شروط ذاك الاحتفال

كان لاحتفال شيخنا العلاوي شروط لابد من تطبيقها وعليها يتأسس الاحتفال السنوي العام, وعلى هذه الشروط أدركنا أشياخنا الكرام الأواخر الذين كانوا على قدم الشيخ وسيرته رضي الله عنهم وأرضاهم على ما كانوا عليه.

الشرط الأول: استدعاء الفقراء العلاويين أينما كانوا, لأن الاحتفال لأجلهم أسس, فحضورهم شرط لازم, ثم استدعاء فقراء بعض الطوائف الأخرى الذين يرضون بالحضور ويكونون تحت إشراف أوامر الطريقة العلاوية, ثم استدعاء بعض العلماء العاملين من أهل السنة ليتم بهم الاحتفال ثم استدعاء بعض أعيان الحكومة لمصالح الطريقة وليشهدوا ما لأجله يقع الاحتفال وما يجلبه من منافع مصالح عامة للمسلمين وما فيه من جمع القلوب على "لا إله إلا الله" ومحبة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الشرط الثاني: أن يكون الاحتفال مؤسسا على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى مراعاة حدود الشريعة الغراء والاستقامة والمحافظة على فروع الديانة كالصلاة في أوقاتها المحدودة والمفروضة لها, إضافة على الحث عليها في الجماعة وتلاوة القرآن جماعة وأفرادا وكثرة ذكر الله تعالى, وأن يكون مرشد الفقراء من العلماء الأتقياء الورعين, وأن يكون ذاك العالم ذكياً مراعيا لحال الفقراء لا يطيل في إرشادهم لخوف مللهم.

الشرط الثالث: أن يكون رئيس الاحتفال شيخاً كان أو مقدماً مأذوناً له من أهل الإذن, فطناً عارفاً بشؤون الاحتفال ذكياً ليقوم بالاحتفال على قوانين الطريقة بداية ووسطا ونهاية, فلا يلتفت إلى الآراء أو يميل إلى عالم لسبب علمه أو تاجر لسبب تجارته أو كثرة نفقاته للطريقة, فلا يلتفت إلى أي شخص يريد خرم الطريقة, بل يميل مع هوى الطريقة ومراسمها وشروطها.

الشرط الرابع: أن يكون الإخوان جميعهم متحابين متزاورين, هدفهم واحد تحت لواء واحد, لواء الطريقة الصوفية يكونون عاملين مخلصين ذاكرين الله تعالى على قلب واحد, شعارهم واحد ولباسهم واحد موفرين لحالهم, مرتدين العباءات البيض أو الجلاليب البيض كذلك, والسبح في أعناقهم بحيث اذا رأتهم العيون

على تلك الحالة وتلك الهيأة الحسنة تخشع القلوب وتهتز الأعضاء لرؤيتهم ويسري النور في القلوب لمشاركتهم, وتشبيك الأيادي بينهم في حلقهم, وهب النسيم من حضرتهم بذكر اسم ربهم ويحضر الوجد والخشوع وتسمع الصياح من غلبة شوقهم فتكون لهم الحرية من ربهم لا مانع يمنعهم ولا حاصر يحصرهم ولا معارض يعارضهم, عامرين الأوقات والأنفاس بذكر الله ليلا ونهارا. ويكون المنشدون حسان الأصوات ولابد وأن تكون الأناشيد من ديوان شيخهم العلاوي أو يكون من كلام بعض اتباعه, لأنه سلاح جديد, قالوا ساداتنا الصوفية رضوان الله عليهم: "ربيع الوقت يرتعي", وقال شيخنا العلاوي: "آتونا باللحم النيء واتركونا من القديد". أما إذا حضر التخليط وكثرة العوام كل واحد على حسب غرضه لا تربية تؤدبهم ولا إذن يجمعهم, فحينئذ يكون الاحتفال من حفلات العامة فتشتت العقيدة.

الشرط الخامس: أن يكون الاحتفال على أثر أسلافنا المشايخ الذين أسسوا لنا هذا الاحتفال المبارك كل سنة لمصالح الطريق ومنافع أصحابها, فلا تخرج عن سيرتهم ولا تميل عن أثرهم, فقد وضحوا لنا المنهاج وبينوا لنا السبيل فما علينا إلا أن نكون من ورائهم تابعين لسيرتهم الحسنة قولا وفعلا, ولا عبرة بقول من يقول "إننا في وقت تبدلت فيه الأحوال فلا يجب علينا اتباع ما كان عليه المشايخ الأقدمون", فهذا غلط وخطأً قائله, بل لا بد وأن نتبعهم في شؤون الطريق كذكر الأوراد مثلا وعقد حلق الرقص واتخاذ السبحة في العنق والسياحة وذكر الجلالة جهرا ونحوها عند دخول الدور والزوايا وديار المشايخ, وقد كان الاحتفال في حياتهم رضوان عليهم خاليا من الشبهات, فلا ينبغي لنا الخروج عن منهاجهم الصالح وسيرتهم الصافية. قال رضي الله عنه في بعض الأناشيد:

أحبتي إن كنتم على صدق من أمري	فذاك نفس السبيل سيروا على سيري

الشرط السادس: أن يكون الاحتفال خالياً من اختلاط الرجال بالنساء أو بروز النساء أمام الإخوان, فإن ذلك يعتبر منكرا لا يقبله دين الإسلام, ولا يقره شرعنا الحنيف ولا يرضاه ذو عقل سليم فضلا عن مشايخ الطريق الذين يسعون في تطهير نفوس العباد من الرذائل ومن الأشياء التي تلطخ طريق السير إلى الله تعالى, بل لابد وان يكون هناك حاجز كثيف بين النساء والرجال ابتعادا من الفتنة, وحفاظا على بقاء طهارة القلوب من الريبة. وقد سمعنا من المشايخ والإخوان الذين عاشوا مع شيخنا العلاوي انه كان يحضر في الاحتفال الألوف من الرجال والنساء, فكان يخص محلاً خاصاً للنساء يذكرن فيه الله تعالى ولا يظهر بينهم

رجل أصلا ولو كان شاباً صغيراً, وكذلك الرجال لا تظهر بينهم أنثى ولو كانت صغيرة, وهكذا شهدنا في احتفالات أشياخنا الأواخر كالشيخ سيدي محمادي بلحاج والشيخ سيدي مولاي سليمان رحمهم الله أجمعين.

جهاده بالجرائد والبلاغ الجزائري

منذ استقل شيخنا العلاوي رحمه الله تعالى بالمشيخة, وهو مثابر على الدعوة إلى الله تعالى والإرشاد إلى دينه, وقد سلك في سبيل ذلك عدة طرق, وكان في طليعة ذلك مجلته الغراء التي أطلق عليها اسم "البلاغ الجزائري", فقد استمر يدعو بها ويناضل طوال ثمان سنوات, فكان يكتب فيها المقالات الطنانة في شتى المواضيع الدينية وكان يرد فيها على المنتقدين للتصوف ورجاله ويجادلهم بالحسنى ويقرعهم بالحجج الدامغة, وكان الانتصار عليهم دائما حليفه.

وقد كانت مجلة البلاغ أحدثت صدى طيبا في العالم الإسلامي, واكتسب بها أصحابا وأنصارا وكاتبه العلماء والفضلاء والأكابر وطرحوا عليه أسئلة كثيرة كان يضمنها البلاغ, فكان القراء يتلقونها بقلوب رحبة منشرحة بما كانوا يجدون فيها من فوائد وقواعد قلما يقرئونها في غير البلاغ, وأكثر ما كان يحرص عليه بث النصيحة في قلوب المؤمنين والمؤمنات من كل مكان ويرشدهم إلى الطريق المستقيم, ويأمرهم بالاحتفاظ على شرف الدين وان يعتصموا بحبل الله المتين, وكان يهتم بأمورهم ويدعو معهم بالنصر والوحدة.

وهكذا استمر يدافع عن دين الله تعالى ويناضل عن مجد التصوف الذي هو روح الإسلام, ويدعو إلى التحقق بمقام الإحسان ويفند شبه المنتقدين والمعترضين, إلى أن وفاه أجله المحتوم, وبفقدانه فقد العالم الإسلامي ذلك النور الوهاب الذي كان ينطق على صفحات البلاغ من مدينة مستغانم الجزائرية.

مؤلفات الشيخ العلاوي

مؤلفاته رضي الله عنه لا تزال بيد اتباعه وغيرهم محفوظة, المطبوع منها والمخطوط لحد الساعة وطبع الكثير منها, وله ديوان شعر فيه ستون قصيدة, البعض منها في علم الإشارات والحقائق, ومنها في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبته الكاملة, ومنها في الإرشاد والدلالة على الله تعالى. وكان له إلى جانب دعوته

بلسانه وحاله وكتابته في البلاغ, كتابته في نواحي وموضوعات مؤلفات خاصة, وقد ترك لنا من إنتاجه وأثره عدة مؤلفات وهي كالآتي ذكرها:

1. معراج السالكين ونهاية الواصلين, 1901
2. مفتاح الشهود في مظاهر الوجود, 1904
3. المنح القدوسيّة في شرح المرشد المعين بطريق الصوفيّة, مخطوط 1907, طبع 1909
4. المواد الغيثّية الناشئة عن الحكم الغوثيّة, مخطوط 1910, طبع 1941
5. برهان الخصوصية في الطريق البوزيدية, , مخطوط, حوالي 1912, الطبعة الأولى 2022
6. القول المقبول فيما تتوصل إليه العقول, 1913
7. لباب العلم في سورة والنجم, 1915
8. الأبحاث العلاوية في الفلسفة الإسلاميّة, 1918
9. ديوان الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي, 1920, 1931, 1937, 1982
10. القول المعروف في الرد على من أنكر التصوّف, 1921
11. الأجوبة العشرة 1923, نشرت المقدمة فقط في "مظهر البينات في التمهيد بالمقدمات"
12. منهاج التصوف, من كتاب الرسالة العلاوية, 1924
13. الرسالة العلاوية في البعض من المسائل الشرعية, 1924
14. الأنموذج الفريد المشير لخالص التوحيد, 1926
15. النور الضاوي في حكم ومناجاة الشيخ العلاوي, 1926
16. نور الأثمد في سنة وضع اليد على اليد في الصلاة, 1926
17. القول المعتمد في مشروعية الذكر بالاسم المفرد, نشر 1928, طبع 1931
18. الناصر معروف في الذب عن مجد التصوف, 1931
19. دوحة الأسرار في معنى الصلاة على النبيّ المختار, 1933
20. مفتاح علوم السّرّ في تفسير سورة والعصر, 1933
21. البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور, 1934
22. مبادئ التأييد في بعض ما يحتاج إليه المريد, الطبعة الثانية 1947

23. المنهاج المفيد في أحكام الفقه والتوحيد, 1997

أوراد الشيخ العلاوي

كان الورد الرسمي للشيخ العلاوي رحمه الله تعالى ورضي عنه:
قراءة سورة الواقعة المباركة, ومن ثمرات قراءتها تيسير الرزق وإغناء الفقير جعلها حزبا لأتباعه وأمرهم بقراءتها بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب, وعند ختام السورة يصلون على النبي بهذه الصيغة ":اللهم يا من جعلت الصلاة على النبي من القربات أتقرب إليك بكل صلاة صليت عليه من أول النشأة إلى ما لا نهاية للكمالات" ثلاث مرات. ولا زالت السورة المباركة تتلى بين أتباعه وكثير منهم أميون لا يعرفون القراءة ولا الكتابة, يحفظونها عن ظهر قلب بكثرة جلوسهم مع إخوانهم يقرونها صباحاً ومساء.

ثم الأوراد باستعمال السبحة:
- "أعوذ بالله الشيطان الرجيم" مرة.
- "بسم الله الرحمن الرحيم" ثلاث مرات.
- تقرأ هذه الآية الكريمة ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا, وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ مرة.
- "استغفر الله" مائة مرة, وعند تمام المائة "استغفر الله العظيم إن الله غفور رحيم".
- تقرأ هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ, يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ مرة.
- "اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم" مائة مرة, وعند تمام المائة "وسلم تسليما".
- تقرأ هذه الآية ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُو الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ, إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ مائة مرة.
- "لا إله إلا الله وحده لا شريك له, له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير" مائة مرة.
- تقرأ سورة "الإخلاص" ثلاث مرات.
- ثم تقول ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ, وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ, وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

- ثم تزيد على هذا "الحمد لله والشكر لله" مائة مرة. (وهذه الزيادة كذلك في زاوية مستغانم من طرف الشيخ محمد المهدي بن تونس, رحمه الله ورضي عنه, إقرارا لزيادة سيدي مولاي سليمان).

هذا هو الورد للطريقة العلاوية الذي كان يلقنه شيخنا العلاوي للمريدين والفقراء من أول ظهوره إلى انتقاله للرفيق الأعلى, وهذا الورد المذكور الذي مر بك هو الذي يلقنه المقدمون لمن يريد الدخول في الطريقة العلاوية, ولا زال إلى حذ الآن هو الذي أخذته وتلقيته عن القطب الشيخ سيدي محمادي بلحاج سنة 1944م, 1363هـ.

هذا وقد زاد على ذلك العارف بالله الشيخ سيدي مولاي سليمان دعاء للشيخ العلاوي بعد سورة الواقعة وقبل ذكر الورد قصيدة اللطفية ومطلعها:

- أيا رب بلطفك يا مرتجى ألطف بنا وهيء لنا فرجا (القصيدة كاملة)

- ثم اللطيف بعدد الصغير وهو تسعة ثم عشرون ثم مائة مع الزجر المعروف وفي الآخر يقال:

- "ألطف بنا وبجميع المسلمين فيما جرت به المقادير قبل نزولها وعند نزولها وبعد نزولها مع رضاك الأكبر رضى تاماً لا سخط بعده أبدا ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

وزاد أيضا بعد ختام كل ذكر وجلالة وبعد صلاة الأذان وبعد ختام كل عمل صالح وبعد الحضرة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ, لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ اللهم لك الحمد, الحمد لله والشكر لله".

وقد أثارت هذه الزيادة نزاعا عظيما بين فقراء العلاويين وخصوصا فقراء تطوان قالوا زاد مولاي سليمان في الطريقة ما لم يكن في حياة الشيخ العلاوي. جعلوا الورد أو الوظيفة كأنه قرآنا أنزل لا يزاد فيه ولا ينقص وإنما هو ذكر زاده شيخ قصد به خيرا والله تعالى يقول "وافعلوا الخير لعلكم تفلحون" ومع هذا لما اجتمعوا في الاحتفال عند الشيخ سيدي مولاي سليمان رحمه الله تعالى قامت ضجة بين الفقراء فصعد القاضي العلامة المحدث الفقيه سيدي العربي الورياشي رحمه الله تعالى برحمته الواسعة الشاملة المنبر, فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: "أيها الإخوان, إن بعض الفقراء العلاويين ينكرون هذه الزيادة التي زادها الله في طريقتكم العلاوية على لسان هذا الشيخ سيدي مولاي سليمان, فهي مجرد آية قرآنية وفيها الحمد لله على ما هدانا له من كل عمل صالح", وبقي الشيخ المذكور يشرح الآية المذكورة إلى أن جمع لهم جميع معانيها وفضائلها, ثم ختم كلامه بقوله: "أيها الإخوان العلاويين احمدوا الله على نعمة الله التي خصكم بها على لسان هذا الشيخ الكريم

بينكم واذكروا هذه الآية جهارا كما أمركم بعد كل عمل صالح وزيدوا على ذلك "الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة". فهذه الآية الكريمة التي أمر بزيادتها هذا الشيخ الكريم أتباع الطريقة العلاوية الذين هم على عهده وتحت إشارته لا زالت تذكرك ما أمر بها في كل مجلس من مجالس الذكر إلى حد الآن, فما على الفقراء إلا أن يحمدوا الله تعالى على نعمة زادها الله لهم على لسان أوليائه المخلصين.

ومن مفاخر شيخنا العلاوي العظيمة التي يشكر عليها مدى الدهر, أحياء سنة نبينا العظيم وشفيعنا العميم ونصرته رضي الله تعالى عنه لنية القبض وأمره بها ودعوة أصحابه إليها, وبذلك انتشرت هذه السنة بالديار الريفية وشرق المغرب الأقصى على الرغم من محاربة الاستعماريين الإسبانيين وأذنابهم لها ولأصحابها العاملين بها, حتى أنهم كانوا يلقون القبض على كل من رأوه يضع يمناه على يسراه في الصلاة, ومع هذا وذاك أبى الله إلا أن تنتشر هذه السنة بعد ما كانت مهجورة ومتروكة بين رجال الريف وعلمائهم, بل في المغرب بأسره إلا ما قل كالطريقة الكتانية والطريقة الصديقية بطنجة, بل نصره الله رضي الله عنه في هذه السنة حتى على علماء مذهب المالكية, وخالفهم واتبع الحق الحقيقي بتوفيق من الله وهداية لنوره تعالى ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ**﴾ (يونس, 32) ﴿**وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ (التوبة, 32). ولم يكتف رضي الله عنه بالعمل بها, بل ألف فيها كتابا أسماه "نور الأثمد في سنة وضع اليد على اليد في الصلاة".

وأمر أتباعه بذكر الهيللة "ثلاث مرات" جهارا بعد الصلوات المفروضة هكذا "لا إله إلا الله" ثلاثا, ثم "سيدنا محمد رسول الله", فهذه سنة كذلك اختص بها وأمر بها أتباعه لم يشاركه فيها أحد من المشايخ, وكان رضي الله عنه عارفا بالله في السر والجهر وبذلك صرح في قصيدة له فقال:

أنا العـــارف بالله في الـــسر والجهـــر　　فلســـت عـــلى شـــك تالله ولا وهم

أخلاق الشيخ العلاوي

كان رضي الله عنه عارفاً بالله قائماً بالعبودية, وقافاً عند الكتاب والسنة حريصاً على الاستقامة, آمراً بها كل من اتصل به شأن المرشدين الصادقين, وعندما جاءه الأذن من حضرة الرسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه, بشره بالنصر والظهور وكونه في أمان الله حيث قال:

بشـــرني بـــدر البـــدور بالنـــصر مـــع الظهـــور　　محبنـــا في سرور محفوفـــا بلطـــف الله

والله لقـــد قـــالَ بأفصـــح المقـــالَ　　نـــصرناك في المـــلا أنـــت في أمـــان الله

ومن مواهب الله عليه أنه وصله بحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم وصرح رضي الله عنه باتصاله برسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناماً فقال:

حسـبي مـن حبيـبي أني متصـل بـه شـفاها

وكان رضي الله عنه متواضعاً حلياً صبوراً ليناً رفيقاً بالجاهل والضعيف حسن الأخلاق يعفو عن هفوات المسيئين ولا يجازي مسيئا على إساءته, ويجادل المعترضين بالتي هي أحسن, وكان كل من خالطه أو رآه أو سمع كلامه أو قرأ كتبه أو مقالاته, أحبه ولا يكاد يفارقه, ولذلك فقد أسلم على يديه جماعة من المسيحيين وأصبحوا في عداد أصحابه المخلصين, وفي هذه الجاذبية المعنوية لحزب الله يقول:

العـلاوي يقـول قـولا منـه مقبـول تهـيم بـه العقـول تغيـب في ذات الله

وكان مجلسه مجلس وقار وحشمة لا تكاد تسمع فيه لغوا, فكان إذا حضر العلماء توسع معهم في علومهم بما كانوا يوردونه عليه من الأسئلة, وإذا كان المجلس مزيجا وخليطا الخاصة والعامة, حدث على قدر العقول والأفهام, وإذا حضر الفقراء والمريدون تنازل فكأنه واحد منهم, فلا ترى وقته إلا الصياح والبكاء كما قال رضي الله عنه في بعض أزجاله:

رَوَّح يا حـادي بـذكر أسـيادي جـذبوا فـؤادي لحـضرة الله

وكان رضي الله عنه له الأذن للظهور, فلما سمع الناس بظهوره من كل مكان وفي كل بلدة كانوا يشتاقون لملاقاته ورؤيته حتى صارت مدينة مستغانم قبلة المتوجهين إلى الله تعالى, كل يوم ينزل فيها عدد كبير من خلق الله, فمنهم من يأتي في الطائرة ومنهم من يأتي على طريق البحر ومنهم, ومنهم... فانتشرت طريقته حتى عمت الأرجاء.

وقد جاء رحمه الله رحمة وشفاء لأهل زمانه, ولا زالت طريقته رحمة ينتفع بها الصادق المخلص, فكم من واحد كان غافلا فأنقذه من غفلته فصار ذاكرا الله ومتوجها إليه, وكم من واحد كان جاهلا فأنقذه جهله, وكم من واحد كان بعيدا فقربته نسبته إلى مولاه, وكم من عالم كان محجوبا عن ربه فكشف له الحجاب بسبب ملاقاته فزاد نورا على نور. وكم ترك (من بعده) من المشايخ أهل الدلالة على الله يلقنون الاسم المفرد ويحصل

الفتح على يديهم في أقرب وقت, فهم ورثته من بعده يدلون الناس على الله ويحافظون على نسبته بفضل الله وحكمته.

من كلام شيخنا العلاوي ومذاكرته

كان للشيخ رضي الله عنه, كلام ومذاكرة مع إخوانه ونصائح في شتى المناسبات, فمن ذاك كان يمتثل بقول مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه: "الخذلان كل الخذلان لمن ظهرت له صورة نفسه ولم يخنقها".

ومنها أنه كان جالسا مع بعض الفقراء وكانوا من بلدة بعيدة فقال لهم: "هل تجتمعون؟", قالوا: "لا", قال لهم: "إذا لا طريق لكم. لأن الاجتماع لازم ولو مرة في الأسبوع ".

ومنها أنه كان جالسا مع الإخوان مرة وفقير كان جالساً إلى جنبه فقال له: "إذا وجدت الجنة مفتوحة والفقراء جالسين على بابها يذكرون الله تعالى, فماذا تختار, أتدخل الجنة أم تجلس مع الذاكرين الله؟", فقال الفقير: "أدخل الجنة", فقال الشيخ: " بل أنا أختار الجلوس مع الفقراء, لأن مجلسهم رياض الجنة".

ومنها انه كان مرة جالسا مع الإخوان وفي يده كأس فقال: "إن الفقير لا يدع الاسم حتى يعرف هذا الكأس على أربعة أوجه, من فوق ومن تحت وعلى الجانبين".

ومنها أنه رأى بعض الفقراء على هيئة لم يرضها, فقال لهم: "لا تكونوا كسالى عاجزين وكونوا أقوياء ومتوجهين إلى الله تعالى بأدب وحسن هيئة, فمالي أراكم تدخلون الزاوية بنعالكم, فتأدبوا فإن الطريقة كلها أدب وكونوا قائمين بحق العبودية وطاعة الله, فالفقير كلما فرغ من عمل صالح شرع في عمل آخر".

ومنها أن فقير كان إلى جنبه فنظر في ساعته فقال له الشيخ: "هذه الساعة صنعة ولا بد لها من صانع, وهذا البيت الذي نحن فيه مصنوع ولا بد له من صانع, وهكذا هذا الكون الواسع هو مصنوع ولا بد له من صانع, وليس هناك أحد إلا الله فهو خالق كل شيء ".

ومنها أنه لم يسمع مرة أثراً لذكر الفقراء في الزاوية, فسأل عن سبب ذلك فقيل له أن عالما يلقي درساً على الفقراء, فخرج ودخل الزاوية وجلس إلى جنب ذلك العالم, فنظر إليه وإذا هو حالق لحيته متفرنج, فقال له الشيخ: "ماذا تقول؟", فأجابه: "يا سيدي استسمحك إني ألقي بعض الكلمات على هؤلاء الإخوان", فقال له الشيخ: "إن علمك هذا لا إدام فيه ولا يقبله الفقراء ولا يستسيغونه". ثم صفق بيده فقام الإخوان وشرعوا في

الذكر والحضرة, فلما فرغوا من الذكر قال لهم: "سادتي الفقراء الحال يكفي عن السؤال, إذا وجدتم عالما مثل هذا متفرنجا حالقا, خذوه هو وعلمه واضربوا به لج البحر".

ومنها أن الشيخ سيدي مولاي سليمان رحمه الله تعالى كان عند الشيخ سيدي محمادي بلحاج فسأله قائلا: "كيف العمل مع النساء في قضية الأوراد, هل حالتهن كالرجال أم ماذا؟", ثم بين له فقال: "أن النساء لهن أشغال كثيرة كتربية الأولاد والقيام بشؤون المنزل وما إلى ذلك, فيكفيهن ولو عشرة من المائة". ثم سأله سؤالا آخر يتعلق بإخراج الورد أفرادا وجماعة ثم أجاب فقال: "إذا كان بقصد التعلم إن كان هناك مبتدؤون فالأولى أن يكونوا جماعة وإلا فالأفضل أفرادا".

سياحاته رضي الله عنه

قد قدمنا سابقاً أنه منذ أن أذن له في الإرشاد وهو مثابر على الدعوة إلى الله وإلى تجديد الطريق, وأنه كان يعقد سياحات في القبائل الجزائرية ومدنها حتى أنه عقد سياحة بعيدة إلى قبائل "زواوة" وهي بعيدة عن مدينة مستغانم, وكان من رفقائه الشيخ سيدي الحاج صالح بن عبد العزيز القادري البغدادي, والشيخ سيدي محمادي بلحاج وبعض الفقراء, وحصل له في هذه الرحلة خير كبير, حيث اعتنق الطريقة العلاوية خلق كثير من القبائل وكانوا يتلقون الشيخ ورفقاءه بالترحيب والحفاوة والإكرام, ومع هذا فلا يخلو بعض الجماعة من الحساد والحاقدين.

وفي أخر يوم من السياحة وصلوا إلى قرية من القرى فقصدوا المسجد فامتنع أهل القرية من ضيافتهم, وكان الشيخ ورفقاؤه في المسجد فلم يجدوا ما يسدون به الرمق وهم في القرية بين الناس, ولكن الشيخ رضي الله عنه كان يثبتهم ويطمئنهم وقد وجه لهم سؤالا قال: "ما هو الأحسن, اليوم أم الأمس؟" , فأجابه الشيخ سيدي محمادي بلحاج بقوله: "اليوم أحسن", فقال له الشيخ: ولماذا؟", قال: "لأنك معنا", ثم قال لهم الشيخ: "اسألوا ما شئتم فإن هذا وقت الإجابة". ثم توجه الشيخ سيدي محمادي بلحاج إلى شيخه العلاوي قائلاً: "يا سيدي إنني أرجو أن تصل الطريقة إلى بلد الريف بدعوتك الصالحة", فقالله: "ستصل إن شاء الله تعالى".

سياحته الأولى لمدينة فاس ولبعض المدن المغربية (سنة 1924م, 1343هـ)

شد الشيخ العلاوي رضي الله عنه الرحلة لسياحته الطويلة الكبرى لبلد المغرب الأقصى (سنة 1924م, 1343هـ) والتي كانت زيارته الأولى للديار المغربية, حيث زار فاس ومكناسة الزيتون وسلا والرباط والدار البيضاء ومراكش, واجتمع في هذه المدن بكثير من علمائها وشيوخها وصلحائها.

وصحب معه في هذه السياحة الشيخ سيدي الحاج صالح بن عبد العزيز القادري البغدادي, والشيخ سيدي الحاج عدة بن تونس, وكانا منشدين للشيخ وقته, فقال لهما: "إننا سنذهب لمدينة فاس وهناك منشدون لهم نغمات وألحان وأصوات حسنة ويحفظون الكثير من أشعار الصوفية, فاثبتوا ولا يهولونكم ذلك فتضعفوا ويضعف ريحكم".

فلما خرج رضي الله عنه كانت أول مدينة مغربية نزل بها هي وجدة, فاستقبل من طرف أهلها بالحفاوة والإكرام فمكث بها أياماً.

ثم مر على مدينة بركان, وكان في ضيافة القائد المنصوري. فلما خرج من عنده خطر بباله زيارة مريده المأذون بالتربية والإرشاد الشيخ سيدي محمادي بلحاج الطاهر, وكان وقتها مسجونا في مدينة مليلية عند حكام الإسبان (حيث ابتلاه الله تعالى بمحنة السجن دام فيه نحو سبع سنوات) , فقال له الإخوان إن المسافة طويلة فعدل عن ذلك.

ثم توجه نحو مدينة تازة, فلما دخلها قصد الزاوية الدرقاوية فوجدها مقفولة فقال لرفقائه: "سيروا بنا فإن سلعتنا لا تنبت هنا".

ثم توجه إلى مدينة فاس, فلما وصلها نزل بها ضيفا على مريد له اسمه سيدي عمر اللبار.

فسمع به علماء فاس فاجتمعوا بشيخ الجماعة وقتهم العلامة سيدي محمد بن الجلالي, فقالوا له: "سمعنا أن الشيخ سيدي بن عليوة نزل عند سيدي عمر البار فنريد أن يحضر عندنا لنجتمع به", فساعدهم واتفقوا ألا يسألوه عن شيء ولا يكلموه وأن يجالسوه بأدب واحترام, فاستدعوه لمسجد القرويين فلبى دعوتهم.

فلما حضر وقد غض المسجد بالعلماء والتجار والعامة والخاصة قاموا لزيارته والسلام عليه فجلس في المحراب وشيخ الجماعة بجنبه, فكان أول سؤال ألقاه عليه حديث رسول الله والذي يقول فيه "أعوذ بك منك ", فلم يتم الحديث امتحاناً له, ليعلم هل له علم بالحديث أم لا, فقال له الشيخ العلاوي أتمم الحديث: لا ملجا منك إلا إليك", ثم تتابعت الأسئلة والأجوبة, وفي النهاية قال له شيخ الجماعة: "مرحبا بكم يا سيدي إن

العلماء الحاضرين يلتمسون من سيادتكم أن تشرح لهم سورة الإخلاص", فأنعم بذلك فصعد المنبر وشرع في تفسيرها عقب صلاة العصر إلى أن سمعوا نداء المغرب, فأتى في ذلك بما أدهش العقول من العلوم والمعارف, فطالعهم ما لم يتقدم لهم به علم. وقد أخبرنا الشيخ سيدي الحاج صالح بن عبد العزيز القادري البغدادي قال: " رأيت بعض العلماء شاخصين فيه بأبصارهم حتى غابوا عن عقولهم", كما أخبرنا العلامة الفقيه سيدي الحاج العربي الورياشي رحمه الله تعالى قال: "كنت حاضرا لشرح الأستاذ العلاوي سورة الإخلاص في مسجد القرويين وكنت أسمع ولا أدري ما يقول, حتى ظننت أن كل العلماء الحاضرين مثلي لا يفهمون ما يقول", ثم ختم الدرس رضي الله عنه ودعا مع الحاضرين عموما وخصوصا.

فقام شيخ الجماعة سيدي محمد بن الجلالي فقال: "أيها الحاضرون, إن هذا الرجل الذي سمعنا منه هذا الشرح قد انطوى فيه سر أولياء الله الصالحين, والآن فمن كان على الطريقة القادرية, فهذا هو الشيخ مولاي عبد القادر, ومن كان منكم على الطريقة التيجانية فهذا هو الشيخ التجاني, ومن كان منكم على الطريقة الدرقاوية فهذا هو الشيخ الدرقاوي فخذوا عنه ". فلما سمع منه الحاضرون قاموا وأخدوا به وجعلوا يزورونه ويطلبون منه تلقين طريقته والتجديد عليه, فأخذ عنه في ذلك المشهد أقوام لا يحصون كثرة.

ثم استدعاه أحد تجار فاس ووجهائها اسمه الشيخ العطار وحضر الحفل أكابر العلماء والشرفاء والعباد وبعض المجاذيب, فكانت الليلة من نوادر الدهر ذكراً وإنشاداً صوفية وأمداحاً نبوية مناوبة بين المنشدين الفاسيين والعلاويين, ثم تفرد المنشدون العلاويون بإشارة من شيخهم العلاوي خرجوا بالقصيدة الجديدة مطلعها:

عَـــروسُ الحـــــضرَة تجلَّــت   بالبهــــــاء مُــــــذ تـــــدّلت

مثـــل عـــذراء قـــد تســلّت   بالصهــــــــــباءِ والغنـــــــــا

فهي قصيدة طويلة كانوا ينشدون بها إلى أخرها, وكان أحدهم يقول نصف البيت والأخر يختمه, فتلونوا فيها على ثلاثة صيغ, فلما سمع الحاضرون لهذا الكلام الجديد لسان الحقيقة تعجبوا وتحلوا. وفي النهاية تكلم الشيخ العلاوي مع الحاضرين حيث قال: "سادتي ما تقولون في صاحب هذه القصيدة؟", فكان جوابهم خاضعين له.

وفي أثناء الحفل جاء بعض المنكرين يريدون امتحان الشيخ, فجلسوا آخر الحاضرين فاتفق معهم صاحب المنزل ألا يكلموه ولا يسألوه عن شيء لما علم منهم الإنكار, فلما رآهم الشيخ قال: "سادي الكرام ما جئناكم إلا لأجل أن تكلمونا ونكلمكم, وتسألونا ونسألكم", فرفع المنكرين الملاحظين أياديهم يريدون السؤال, فاستقربهم الشيخ حتى جلسوا بين يديه, فقال لهم "هل لكم سؤال؟", قالوا: "نعم", قال: "وهل أقول لكم أنا قبل أن تسألوا أم تسألوا أنتم قبل أن أقول؟", قالوا: بل قل لنا أنت", فنادى بأعلى صوته : "سادتي الحاضرين الكرام, إن هذه الطريقة التي نحن عليها وهي الطريقة العلاوية الدرقاوية الشاذلية, هي طريقة مؤسسة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم, ومبنية على الاستقامة والعمل الصالح, فهي ليست طريقة أخذ الحيات ولا أكل الحشرات أو أكل النار أو ضرب الرؤوس بالحديد أو اختلاط الرجال بالنساء, ما هي إلا طريقة العبودية لله تعالى والوقوف على حدود الشريعة". فلما سمع مقالته أولئك المنكرون الملاحظون قاموا إليه وقبلوا يده وقالوا: "هذا والله الذي كان في ضميرنا نسأل عليه فقد شفيت لنا الغليل".

ثم تابع سياحته إلى مدينة مراكش, وقد سمعت الشيخ سيدي محمد بن الحبيب البدوي الدرقاوي أنه هو الذي كان يرأس السياحة بالمغرب بإذن من الشيخ العلاوي حتى رجع إلى مدينة مستغانم رحمهم الله جميعا.

الزاوية العلاوية التي كانت في حياة الشيخ وبعد انتقاله

قد أشرنا فيما سبق إلى أن طريقة الشيخ عمت سائر الآفاق, وما من موضع فيه أصحاب له إلا وعندهم زاوية بها مرشد يدعو إلى الطريق, وعندما نتعرض لترجمة الشيخ سيدي محمادي بلحاج نذكر الزوايا الموجودة الآن بسائر مدن المغرب وخاصة شرق الشمال في بلد الريف, وزوايا موجودة إلى حد الآن بالحرمين الشريفين, حرم بيت الله الحرام وحرم مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم, وسوريا بدمشق وحلب وبعمان بالأردن وباليمن وبمصر وفي فرنسا وبلجيكا وغيرها.

رحلته لحج بيت الله الحرام

وفي سنة 1930م, 1348هـ شد رحلته للديار المقدسة, لأداء فريضة الحج وكان يرافقه عدد من الإخوان منهم الشيخ سيدي الحاج صالح بن عبد العزيز القادري البغدادي, وكان سفرهم عن طريق البحر, ولما وصلوا لمكة المكرمة أدى المناسك على وفق السنَّة, لا على ما يتمشى عليه المطوِّف لأجل مصلحته, فأراد المطوِّف أن

يحوِّلهم عن دخول بيت الله من غير باب السلام, فأبى رضي الله عنه إلا الدخول منه لعلمه وتحقيقه بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان ليدخل إلا من باب السلام, فاقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل منه.

فلما وقف الشيخ رضي الله عنه في باب السلام أشار إلى الشيخ الحاج صالح أن يذكر الجلالة بأعلى صوته الجوهري "لا إله إلا الله, لا اله إلا الله", وهكذا كان شأنه في أداء كل المناسك. وبعد فراغهم من المناسك توجهوا إلى المدينة المنورة, لزيارة حبيبه ومربيه وشفيعه المصطفى صلى الله عليه وسلم وزيارة ما بالمدينة من آثاره صلى الله عليه وسلم ولا تسأل عما وقع بين يدي حبيبه وساقيه من الوجد والخشوع والحنان, شأن أرباب الحب والوصال إذا ظفروا بحبيبهم ومعشوقهم, وقد فاض ضمير الشيخ ما كان يكنه من حب وصبابة, فأنعم بقصيدة طنانة في شمائل النبي صلى الله عليه وسلم تنبئ عن أشواقه وشغفه لذلك الجناب المقدس.

ولقا رجع الشيخ من الحج أقام الفقراء حفلا كبيراً إكراماً للشيخ وحصل للفقراء فرح كبير بقدومه, وحضر من حضر لا يحصون كثرة, ووقع فيه من السرور والأشواق والمواجد ما لم يسبق له مثيل إلا نادرا, والله لقد تنورت بوجوده وحياته مدينة مستغانم حتى كانت تشبه رياض الجنة, وقد جاد الشيخ سيدي مولاي سليمان ببعض الأبيات يمدح بها مستغانم في الوقت الذي كان شيخه العلاوي على قيد الحياة, ونذكر منها هنا البعض قال:

مستغانم الفضل كم حازت من الفضائل	بوجود العلاوي هو صاحب الرسائل
بقعة قد أصبحت فازت بكل خير	تأتيها كثرة الوفود من كل قطر
بوجود العلاوي هو صاحب الرسائل	بزيارة العلاوي نالوا كل خير

عدد المريدين والمشايخ الذين خلفهم الشيخ

سمعت الشيخ سيدي مولاي سليمان رحمه الله تعالى قال: "كنت بزاوية مستغانم وسمعت أحد المتجردين وكان كاتب الشيخ العلاوي (الشيخ علي البوديلمي) فقال: كتب شيخنا العلاوي إلى جميع مقدمي الطريقة العلاوية وأفرادها أينما كانوا شرقا وغربا وأمرهم بإحصاء أفراد الفقراء المنتسبين للطريقة العلاوية, فكان الجميع بعد الإحصاء الدقيق "ثلاثة وثلاثين مليونا" ما بين ذكر وأنثى, وقد ترك شيخنا العلاوي من المشايخ أكثر من

"خمسين ألف" شيخ كلهم أهل الدلالة على الله ."وقد قال الشيخ سيدي الحاج صالح بن عبد العزيز القادري البغدادي سمعت أستاذي العلاوي يقول: "إني أتمنى إن شاء الله تعالى أن أترك من المشايخ في طريقتي أكثر مما ترك سيدي مولاي العربي الدرقاوي رضي الله تعالى عنه, إنه ما مات حتى ترك نحواً من "أربعين ألف" شيخ, كلهم من أهل الدلالة على الله تعالى.

ولا زالت الطريقة والحمد لله لحد الآن قائمة, لها شيوخها ودعاتها, والخير لا ينقطع بحول الله تعالى.

وصية الشيخ قبل وفاته

وعندما دنا أجله أحضر عدلين فأدلى إليهما بوصية عامة وخاصة, وهي كما سمعناها من الصادقين الأمناء, أنه أوصى بأن كل ما تحتوي عليه زاوية مستغانم من البيوت والأثاث والعقار والأراضي مما هو تحت حكم الزاوية, فكل ذلك منسوب للطريقة وأهلها, وجعل الأمين على ذلك الشيخ سيدي الحاج عدة بن تونس رضي الله عنه, وأنه المتصرف في ذلك ما دام على منهج سيدي الشيخ وعهده, فإذا بدَّل أو غيَّر فعلى أهل الطريقة أن يستبدلوا مكانه آخر ما يناسب المقام.

وأوصى الأمين أن يحترم المتجردين المقيمين بالزاوية, سواء كانوا قدامى أم حديثين, وأن ينفق عليهم من حبوس الزاوية, ولا يطرد أحداً منهم وأن يكرم الفقراء الواردين على الزاوية من كل بلد, ولا يمنع أحداً منها أو المكوث فيها.

وأوصى بزوجته السيدة مغنية بأن تختار, إما أن تأخذ ثمنها من ماله الخاص الذي كان يملكه قبل الطريقة وتخرج من الزاوية, وإما أن تبقى في الزاوية وتكون تحت إشراف الطريقة محترمة معظمة إلى أن تموت, فتدفن بجانب الشيخ, وعهد بذلك إلى سيدي الشيخ عدة وأمره أن يقوم بشؤونها ويساعدها في كل ما تحتاجه.

أمَّا سرُّه المعنوي رضي الله عنه, فلكل فقير حظ منه, ووارثه وخليفته ظهر بعده ونشر طريقته وسار على نهجه وهو لا يختص بأهله أو أقرب الناس إليه, بل هو قد يكون بعيدا ﴿**وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء**﴾ (البقرة, 105) فالبركة والحمد لله موجودة بين أهل الطريقة لا تنقطع بحول الله وقوته.

وفاة الشيخ العلاوي رضوان الله عليه

عاش هذا الشيخ العظيم ثلاثا وستين سنة, قضى أكثرها في الإرشاد والدلالة على الله والدعوة إلى دينه وإلى التحقق بعبوديته تعالى إلى أن وافاه أجله المحتوم يوم 14 يوليوز سنة 1934م الموافق للأوَّلِ من ربيع الثاني 1353هـ, وبقي في نعشه محطاً ثلاثة أيام لم يدفن حتى اجتمع الإخوان من كل بد ومكان وفج وجهة, حتى اجتمع منهم الألوف, فكثر البكاء والنحيب ورقت القلوب وفاضت العيون وعمَّ الحزن الجميع, وكان يدخل عليه النساء والرجال لزيارته والصلاة عليه, وفي أثناء ذلك وقبل دفنه اجتمع أعيان الطريقة مع سيدي محمد المدني التونسي, وكان أكبر عالم في الطريقة العلاوية, فسألوه من يقوم بشؤون هذه الطريقة بعد أن يدفن أستاذنا فقال لهم: إن الأمر التي سألتموني يرجع أمره إلى مشاورة الشيخ سيدي محمادي بلحاج لأنه أكبر مريد عندنا في هذه الطريقة", فلما تشاوروا مع الشيخ سيدي محمادي بلحاج أجاب قائلا: "فإن كانت نظرة الشيخ نتركها كما كانت".

ثم اجتمعوا وتشاوروا أيضا فيما بينهم, لكن الشيخ سيدي محمد المدني أشار إلى الشيخ سيدي محمادي بلحاج لأنه كان يسمع من الشيخ العلاوي إشارات تدل على خصوصية الشيخ سيدي محمادي بلحاج ووراثته.

ثم دفن الشيخ رضي الله عنه بزاويته المشهورة بمستغانم وهي زاوية كبيرة معظمة محترمة إلى الآن, رحمة الله عليه بجميع رحماته الواسعة الشاملة, فتفرق الإخوان بعد التعزية, وذهب الكل إلى بلادهم ملتزمين أثره من بعده, تابعين نهجه القويم, داعين إلى طريقته.

وبذلك فقد العالم الإسلامي علماً من أعلام التصوف وقبساً من نور مشكاة النبوة, فعليه من ربنا الرحمة والرضوان, وبذلك ننهي ترجمته الموجزة.

شيخه سيدي محمد البوزيدي

وإذ قد فرغنا من ترجمة شيخنا العلاوي باختصار, فلنتبع ذلك ملخص من ترجمة شيخه القطب سيدي محمد البوزيدي رضوان الله عليه فنقول وبالله التوفيق:

هو العارف بالله والدال عليه الشريف الجليل الشيخ الكبير سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي المعروف بحمُّو الشيخ من صغره إلى استجماع قوته, وفي بلده تعلم الكتابة والقراءة وحفظ القرآن الكريم.

وإذا أراد الله تعالى شيئا هيأ أسبابه, فقد شاءت إرادة الله تعالى أن يصحب بعض كبار مشايخ المغرب ويأخذ عنه ويخدمه ,وكان السبب في ذلك رؤية منامية, مضمنها أنه ذهب مرة لمدينة تلمسان فزار سيدي أبا مدين الغوث وبات بضريحه, فلما نام بعد أن قرأً جملة من القران الكريم رأى بعض أجداده ومعه سيدي أبو مدين, فسلما عليه فقال له سيدي أبو مدين: "اذهب إلى المغرب فقد أطلقتك", فقال له: "إن المغرب فيه كثير الحيَّات والسموم وأنا لا أقدر على سكناه", فقال له: "اذهب ولا تخف فإنك محفوظ ما يطرأ عليك". فاستيقظ مرعوبا وتوجه إلى المغرب".

اتصاله بسيدي محمد بن قدور

ولما أراد التوجه إلى المغرب اتصل بسيدي محمد الهبري وسيدي عبد القادر بن عدة البوعبدلي, وكانا من طلبة القرآن, فتصاحبوا جميعا وجعلوا يطوفون على المساجد ليضبطوا قراءاتهم للقرآن, فاتفق لهم أن نزلوا بجبل عين زورا وكان به العارف سيدي محمد بن قدور الوكيلي يعلِّم القرآن للصبيان, فنزلوا عليه وسألوه القامة عنده لقراءة القرآن, فأذن لهم وتفرس فيهم وكوشف بأحوالهم وأنه سيكون لهم شأن في المستقبل, فمكثوا عنده يقرؤون القراءات السبع مدة, ثم لقن لهم الأوراد العامة, وبع ذلك لقن لهم الاسم المفرد "الله".

وبعد أن تمكنوا من الطريق, أذن لسيدي محمد الهبري (دفين آحفير) بالرجوع إلى ناحية بركان وأذن لسيدي عبد القادر بن عدة البوعبدلي (دفين غليزان) بالرجوع إلى الجزائر, وأمرهما بنشر الطريقة وجمع العباد على الله تعالى.

أما سيدي محمد البوزيدي فقد أمره بالمكوث معه, فبقي عنده يخدمه ويقوم بشؤونه وشؤون أهل داره مع العبادة والتربية وقال له: "لا تتحرك من هنا حتى يأتيك الأذن".

ولما توفي شيخه رضي الله عنه, خلفه الشيخ سيدي محمد البوزيدي في زاويته بإذنه, فقام بعده بالدعوة والتذكير والتلقين والتربية إلى أن أخرجه بعض أقارب شيخه من الزاوية, فذهب إلى بني سعيد, ففقده الفقراء فطلبوه حتى وجدوه واجتمعوا عليه. ثم قام عليه أولاد شيخه أيضاً فدسُّوا عليه من يقتله, فأخبر بذلك فقال: "الآن أتاني الإذن من شيخي بالرحيل". فقام من حينه وتوجه إلى مدينة مليلية ونزل بمسجد مولاي إدريس ليلة أو ليلين, ثم ركب الباخرة متوجها لمستغانم بعد أن حصَّل على الأمانة, وفي ذلك يقول تلميذه الشيخ العلاوي رضوان الله تعالى عليه: "هذه الحكمة جاءت من بلد الريف من المشايخ وسترجع إليها كذاك".

وقد حقَّق الله تعالى ما قال, فقد وُجِدَ في بلاد الريف من المشايخ وناشري الطريقة الكثير, كالشيخ سيدي محمادي بلحاج الذي كان سبباً في ذلك ورجع بها إلى بلاد الريف, والشيخ سيدي مولاي سليمان وغيرهما (ممن أذن لهم الشيخ العلاوي رضي الله عنه)...

تأسيسه الزاوية ونشرة الطريق

ولما وصل الشيخ سيدي محمد البوزيدي رضي الله عنه إلى بلده مستغانم, أسس زاوية وجعل يدعو الناس إلى طريق الله تعالى وكان رضي الله عنه, يتجول في الشوارع والسبحة الطويلة في عنقه والعكاز بيده, فكوَّن جماعة من الإخوان كانوا يجتمعون معه بزاويته, وفي بعض الأحيان كان يزورهم في متاجرهم, وكان ذلك سببا في اتصال الشيخ العلاوي بسيدي البوزيدي رضي الله تعالى عنهما كما قدمنا.

وفاته رضي الله عنه

ولما أدَّى الأمانة وبلَّغ ما أمر بتبليغه من السر والحكمة, وافاه أجله المحتوم يوم الاثنين 10 شوال 1327 هـ الموافق لـ 25 أكتوبر 1909م, ودفن في زاويته بمدينة مستغانم الجزائرية, ومزاره معروف يقصده الزوار ويتبركون به.

شيخه, الشيخ سيدي محمد بن قدور الوكيلي

أما شيخ سيدي محمد البوزيدي رضي الله عنه فهو العارف بالله الحامل لكتاب الله المنقطع إلى الله الشريف من شرفاء بني الوكيل سيدي محمد بن أحمد بن العربي بن المختار بن محمد بن علي بن موسى...

كان محمد جده الرابع رجلا صالحاً من أهل البركة والكلمات الظاهرة, وقبرة في جبل كركر عاليا مشهورا, وله قبة مشهورة يقصده الزوار ويتبركون به, وكانت له سبحة فيها ألف حبة, وحربة طويلة كان يصطاد بها, وكلاهما لا زالا بضريحه معلقتين عند رأسه إلى حد الآن, وعلى جنب ضريحه عين ماء نابع حلو, ومحل ضريحه في جبل عالي, فهم الشرفاء الكرماء من نسل المصطفى صلى الله عليه وسلم, ومن أهل الفضل والبركة والشجاعة رضوان الله عليهم أجمعين.

أما القطب الشيخ سيدي محمد بن قدور, فهو ملقب بهذا الاسم بن قدور (وقدور هو عمه الذي تكفله واسمه عبد القادر), تعلم رضي الله عنه الكتابة والقراءة, وفي أيام شبابه اتصل من أهل البركة والصلاح ليقرأ عليه القراءات السبع, فكان الفقيه يكتب لسيدي محمد قدور القران في اللوح ويرسم له في آخره اسم الجلالة "الله" ويقول له : "إذا حفظت اللوح فغمِّض عينيك وقل "الله", فكان الشاب على ذلك, كلما حفظ حصته من القرآن يقول "الله" ويكررها, فنزل به حال مرة وغشي عليه, فأتاه الفقيه فوجده ملقى على الأرض غائباً, فحركه فلم يتحرك, فظن أنه مات, فخاف على نفسه فهرب من ذلك المسجد. فلمَّا أفاق الشاب خرج هائماً على وجهه إلى أن دخل الجزائر (تلمسان), فلقيه بعض أهل الله (أبو عزَّة المهاجي) فقال له: "لولا جدك المصطفى لما قلت لك شيئا, وأنا رجل عقيم, ولكن حاجتك عند الشيخ سيدي محمد بن عبد القادر الباشا", يعني في المغرب في بلاد الخروب. (1)

(1) تعليق المحقق: الفقيه المذكور هو سوسي بقبائل القلعية وبأولاد حساين تحديدا, لما غاب محمد بن قدور عن حسِّه, تفقده الفقيه وحاول إيقاظه فلما رأى أنه لم يتحرك أذَّن له في أذنه ثلاث مرات, فلما أفاق, قال له الفقيه: "اذهب إلى من يأخذ بيدك إلى الله", فسأله: "من الذي تقصده؟", فقال له: "الشيخ أبو عزة المهاجي الشريف التلمساني", فتوجه نحو تلمسان ومكث عنده بضعة أيام, فأمره الشيخ المهاجي رضي الله عنه بالذهاب والتوجه نحو الشيخ محمد بن عبد القادر الباشا رضي الله عنه. المصدر: مذاكرة لسيدي أحمد الكركري, الزاوية الدرقاوية الشاذلية الكركرية.

فرجع محمد بن قدور قافلاً بسرعة فاتصل بالشيخ المذكور (الشيخ سيدي محمد بن عبد القادر الباشا) وتجرد لخدمته, فحسده بعد ذلك بعض أقارب الشيخ, فأمره شيخه بالذهاب, فذهب رضي الله عنه إلى محلة تحت جبل, فكان يختفي في النهار ويأتي في الليل بالكلأ والنبات للمواشي ودواب الشيخ, وبقي على ذلك مدة من الزمن. وكان إذا غلب عليه الجوع يأكل الحلزون, ما يسمى بأغلاّل أو الببُّوش.

وذات ليلة رآه بعض أقارب الشيخ يتحرك بين المواشي والدواب, فظن أنه سارق فأخبر الشيخ, وكان الشيخ يحرسه فلما رآه ناداه وقال: "من هذا؟", فردَّ عليه : "أنا بن قدور", فاستدعاه وجلس بجانبه, وكان يتحدث معه وإذا بالخادمة تدخل عليهم وقالت للشيخ: "يا سيدي, ليس لنا تلك الآنية التي نخبز عليها الخبز" (وهي قصعة من الخشب, ثقيلة الوزن), فلما سمع الشاب كلام الخادمة, ذهب من حينه إلى بعض أسواق القلعية فاشترى تلك الآنية وحملها على ظهره وجاء بها وهو يمشي على رجليه إلى بلاد الخروب مسافة طويلة, فلما رآه الشيخ سأله: "من أين جئت بهذا؟", قال له: "من بعض أسواق القلعية", فتعجب الشيخ من هذا الشاب الصابر الذي يطلب بذلك رضى شيخه.

وهكذا مكث في خدمة الشيخ مع التجرد للعبادة, إلى أن أذن له شيخه وأمره بالذهاب إلى بلدته, لنشر الطريق حيث قال له: "اذهب إلى بلدك ولك الإذن, ولكن كن كريماً واحذر إخوانك الشرفاء الحسدة". فجاء إلى بلده بني الوكيل, فتزوج هناك واستقل بالدعوة إلى الله والدلالة عليه وتلقين الأوراد فكثر أتباعه ومريدوه.

حسده إخوانه الشرفاء ودسُّوا عليه من يقتله, وبينما سيدي محمد في جبل بعيد عن العمران, وإذا برجل معه خنجر يريد قتله, فجعل يعظه ويخوفه من عقاب الله, فلم يرجع الرجل ولم يتعظ وقصده شاهراً عليه الخنجر, فبادره سيدي محمد فرماه ببندقيته التي كانت معه فأرداه قتيلا. ثم نزل لداره وهاجر بأولاده من حينه ونزل بجبل عين زورا, فحفر فيه كهوفاً, واحداً لسكناه, والثاني لتعليم الأطفال القرآن الكريم. فاجتمع عليه الفقراء لذكر الله تعالى واشتهر بعد ذلك أمره وطار بين القبائل ذكره. ثم جاءته بعد ذلك جماعة من بني بوحيي وكانوا قد سبق لهم الانتساب إليه, فحملوه إلى بلدهم وهاجروا به ليلا. ولما وصل إلى جبل كركر قال: "هذا هو المستقر إن شاء الله تعالى".

فأمرهم بإنزاله هناك وبنوا له زاوية (حوالي 1844م/1260هـ) وجعل يدعو إلى الله ويلقن الاسم الأعظم لمن يريده, فانتفع به خلائق لا يحصون كثرة وتخرج على يده رجال ومشايخ, وبقي على حاله إلى أن توفي رضي

الله تعالى عنه (حوالي 1867م - 1284هـ) ودفن بزاويته التي لا تزال قائمة بجبل كركر (الذي اشتق منه لقب الكركري) وله قبة شهيرة يزار وعليه هيبة ووقار إلى الآن, رحمة الله عليه عدد ما جاهد في سبيل الله وجعل البركة في أولاده وأحفاده إلى يوم القيامة آمين.

أما شيخه سيدي محمد بن عبد القادر الباشا وسيدي أبو يعزى المهاجي اللذان أخذا عن سيدي مولاي العربي الدرقاوي فلم نقف لهما على ترجمة تذكر والسلام.

بعض الأكابر من تلامذة الشيخ العلاوي

قد قدمنا في ترجمة الشيخ العلاوي رضي الله عنه أنه ترك أكثر من خمسين ألف شيخ, وهؤلاء الشيوخ تفرقوا في الأقطار والبلدان والأمصار, وكل منهم تكوَّن على يده من عدد لا يحصى من الإخوان والمريدين, وانتشرت الطريقة على أيديهم في كل الجهات والآفاق, وتغلغلت وقويت أكثر في البلاد الريفية المغربية على يد جماعة أكابر الطريق, أخص منهم بالذكر الشيخين الكبيرين الجليلين, الشيخ سيدي محمادي بلحاج رضي الله عنه والشيخ سيدي مولاي سليمان رضي الله عنه, فإنهما كان لهما الأثر الكبير في نشر الطريق وإقامة صرحها في شمال شرق المغرب الأقصى مما لا يزال أثرهما حتى الساعة.

الشيخ السيدي محمادي بالحاج

الشيخ الصالح والولي المفلح القطب الرباني المجاهد في سبيل الله, وفي رفع لواء الطريقة العلاوية صاحب الأسرار وعناية الله والسكينة والوقار, الشيخ سيدي محمادي بلحاج الطاهر.

كان والده رحمه الله فاضلاً من عباد الله الصالحين, وهو من قبيلة بني سعيد, وانتقل إلى قبيلة بني شيكر, وكان استقراره في قرية بني علي بالقلعية, فانخرط في الطريقة القادرية هناك, وكان معظماً ومحترماً عند الشرفاء القادريين بزاوية ورش (بني شيكر). وكان يجتمع الفقراء عليه في داره ويتكرم عليهم ويقوم بضيافتهم. وبما أنه من حملة القرآن الكريم ومن أهل الاستقامة, رشحه الفقراء القادريون مقدماً عليهم, ثم زوّجوه كريمة منهم, فأنجبت له أولاداً إناثا وذكوراً, كان من جملتهم سيدي محمادي, فنشأً تحت أحضان والديه.

ولقا تم له من العمر سبع سنين أدخله والده الكتاب لتعليم الكتابة والقراءة فجد واجتهد حتى استظهر القرآن الكريم عن ظهر قلبه وهو لا يزال صغيرا. ثم توفي والده فبقي يتيماً كباقي إخوانه وأخواته. ثم خطر بباله يوما أن يذهب إلى البلاد المقدسة لتأدية فريضة حج بيت الله الحرام عن طريق البر, فخرج بهذا القصد إلى أن بلغ به المطاف للجزائر, فنفد ما كان عنده من الزاد وجعل يتنقل من مسجد إلى مسجد, وأجَّر نفسه في بعض المساجد على تعليم الأطفال والإمامة.

يوما ما نزل عنده ضيف من الفقراء العلاويين قادماً من زاوية مستغانم ,فأكرمه وسهر معه تلك الليلة وهو يحدثه عن الطريقة العلاوية, وأخبره عن ظهور الشيخ العلاوي وما يقوم به من التربية وتلقين الاسم الأعظم, فاشتاق للالتحاق به.

وعند صباح الغد صحب ذلك الفقير وذهبا معاً لمستغانم, فلما وقفا في باب الزاوية ذكر الفقير صيغة الجلالة "لا إله إلا الله" بأعلى صوته, فسمعه الشيخ العلاوي, فخرج لملاقاتها, فتقدم الشيخ سيدي محمادي للسلام عليه, فقبَّل يد الشيخ ونظر إليه, وكان وقت الصلاة, فأمره الشيخ بالآذان, فأذن وكان جوهري الصوت عذب اللهجة.

بعد ذلك لقنَّه الشيخ العلاوي الورد العام ثم أمره فيما بعد بالخلوة على الطريقة المعروفة عند القوم, وفي أقرب وقت, لاحت له الأنوار ونال الفتح الأكبر وظهرت عليه ملامح الفتح, فأخرجه الشيخ من الخلوة وأمره

بالخدمة في الزاوية والتجريد والقيام بمصالح الشيخ, فكان تارة يرعى البقرة حيث يأخذها للبادية, وتارة يشتغل بتعليم الصبيان وقراءة القرآن.

في إحدى الأيام بعثه الشيخ العلاوي لقبائل زواوة مع أحد مقدمي الطريقة من بلاد زواوة, وكانت الطريقة العلاوية قد انتشرت بينهم فيما قبل. وسبب بعثه لهناك هو جمع الفتوحات والهدايا والمعاونة لبناء الزاوية الكبرى بمستغانم. ولما نزلوا عليهم, أكرموهم حيث استقبلوهم بالإكرام والضيافة والحفاوة, فجمعوا لهم هدايا كثيرة وبعثوا بها إلى الشيخ.

وكانوا في كل ليل ونهار يجتمعون مع الفقراء وكانت تكتظ بهم الزاوية لذكر الله وعمارة الوقت, والناس يعتنقون الطريقة أفواجاً. ولكن وُشِيَ بهم للحكومة (الاستعمارية) فسجنوا مع جماعة من الفقراء مدة ثلاثة أشهر, ولما فرَّج الله عنهم رجعوا للزاوية بمستغانم.

واستمر الشيخ سيدي محمادي على عمله للتجريد والخدمة, حتى أمره الشيخ العلاوي بالرجوع إلى بلده وأذن له بالتلقين (والتربية والإرشاد) ونشر الطريقة.

لما قدم لبلاد الريف, نزل أول مرة بقبيلة فرخانة في قرية ببني جوهرة حيث كانت أخته متزوجة بها عند سيدي الحاج حمُّو جوهرة, فتوظف بمسجد كإمام, وكان يلقن الطريقة, ثم انتقل إلى مسجد مولاي إدريس دار المخزن فجعل يدعو الناس إلى الطريقة والدخول في أهل سلك الله, فجعل الناس يأتون أفواجا ذكوراً وإناثا.

وكان من تلامذته سيدي علال زريوح, فزوجه بابنة أخيه ونقله إلى قرية عطيطن (إعطارن) حيث كانت سكناهم هناك, فسكن رضي الله عنه معهم. فكان اجتماع الفقراء لذكر الله عز وجل أولا بداره ثم بعد مدة انتقل إلى دار أبيه بقبيلة بني شيكر حيث جاء بطريقة جديدة علاوية.

كان يلقن ببني شيكر الأوراد والناس يأتون إليه أفواجا من كل القرى, ثم قامت قيامة الحسدة من أهل الطريقة القادرية وكانت لهم يد مع الحكومة الإسبانية فأذوه وطردوه خوفا على أتباعهم أن يميلوا إلى الطريقة الجديدة التي جاءت بنور ساطع قوي, فلما فرَّ لمستغانم تشاور مع شيخه في الموضوع فأمره بالرجوع والصبر والثبات. فرجع رحمه الله إلى داره وأجَّر نفسه في بعض المساجد لتعليم الصبيان قراءة القرآن واستمر على نشر الطريقة. فعاد الحسدة لأذاتيه, فرفعوا أمره إلى الحكام الإسبانيين وألصقوا به تهمة, فألقي عليه القبض وزج به في السجن, أولا بتزطوطين حيث جعلوه في مطمورة في تخوم الأرض, ولكن كان ذلك كخلوة له, فكان

ذكر الله دأبه وهجيره ليل نهار كما حكى عنه بعض الجنود من كان مكلفاً به, ثم نقلوه بعد ذلك إلى مدينة زايو, وفى النهاية أخذوه لمدينة مليلية حيث دام سجنه بها سبع سنين.

كان رحمه الله ثابتاً في طريقة شيخه راسخاً في محبته وممتثلاً لأوامره لا يتحرك إلا بإذنه ولو في السجن, وبهذا نال رضاه ورضا الله ورسوله, ونال تلك الحكمة التي أخذها بالصبر والامتحان كما يقال "عند الامتحان يعز المرء أو يهان". وقد جاهد في سبيل الله, وبذلك ابتاع نفسه لله. لم يوجد مريد في هذه الطريقة العلاوية تحمل هذا التكليف مثل هذا الرجل العظيم ,فقد امتحنه مولاه وقواه وأمده بالثبات, باع نفسه وبذل مدة طويلة من عمره وفارق أهله وترك أولاده صبياناً صغاراً في محبة الله ونصرة لطريقة شيخه وغرسها في بلاد الريف رغم كل حاسد.

وكان الإسبان في الآخر يراودونه على ترك الطريقة العلاوية واعتناق طريقة أخرى ويعدونه بالإفراج عنه إذا تركها فيرفض ذلك, ولما علم حكام إسبانيا إخلاصه وإصراره على طريقته وإقباله على الله أعطوا له حرية في السجن وسمحوا لزواره بزيارته في أي وقت شاءوا, وكان السجن مفتوحاً للفقراء الزوار لا يمنعهم مانع, حيث كان الفقراء يأتون من كل القبائل يقصدون زيارته والتبرك به ويلتمسون منه الدعاء الصالح, وكان يلقن اسم الله الأعظم لبعض الفقراء داخل السجن ففتح الله عليهم.

وكان أول ما دخل سجن مليلية وجد به أناسا جاهلين بالله غافلين عنه فدعاهم إلى الله وعلمهم مبادئ دينهم ولقنهم الورد وأجابوه, وأصبح السجن كزاوية له يدوي بذكر الله تعالى وتظاهر بشعائر الدين والإسلام كالأذان وإقامة الصلوات الخمس جماعة والاجتماع على الوظائف والأوراد وإقامة حضرة الذكر.

وكان هذا الشيخ العظيم هو السبب لنشر الطريقة في بلد الريف قبل كل أحد, فلو جاء بها أحد قبله لكان هو المسجون ولكن هو الذي أظهر بها لأول مرة وشهرها ورفع رايتها في جميع قبائل الريف وقبائل القلعية, فكان وهو في السجن يلقن الأوراد ويدعوا إلى الله ويعين المقدمين ويأمر بتأسيس الزوايا. وأول زاوية تأسست بإذنه هي زاوية الشيخ سيد بلقاسم السعيدي من أنجال القطب سيدي محمد بن قدور الوكيلي, أسسها وهو في السجن.

وكان رحمه الله يأمر المقدمين بإرشاد الناس خفية حتى لا تشعر بهم حكومة إسبانيا, وكم من أتباعه بسبب دخولهم في طريقته ذاقوا في السجن كل أنواع العذاب ليتركوا نسبتهم وما تركوها وما زادهم ذلك إلا إيماناً وتمكيناً, ولهذا كان توجه الشيخ العلاوي بنظرته الصافية وبدعائه الخالص لهذا الشيخ سيدي محمادي

وأتباعه من بلد الريف, فمنذ انتسابه إلى شيخه رحمه الله تعالى وهو يناضل ويجاهد في سبيل الله ونشر الطريقة العلاوية. وقد شهد له شيخه بذلك أمام رجال الطريقة وأفرادها خصوصاً إذا حضر بين يديه فقراء الريف, كان يجهر بذلك أمامهم ليزدادوا إيمانا ويقيناً, ولنذكر منها بعض الشهادات التي شهد له بذلك.

فمنها أنه إذا قدم فقراء الريف إلى الشيخ العلاوي كان يسألهم ويقول لهم: "رأيتم الشيخ سيدي محمادي بلحاج؟", فإن قالوا رأيناه أو جاءوا بسلامه أو برسالته, استبشر وتظاهر بالبشرى على وجهه ويستقبلهم بكل فرح وسرور, ثم يأمرهم بمحبته والوفاء بعهده, فإن ذكروا له عدم رؤيته ولم يكن عندهم شيء من أخباره أعرض عنهم.

ومنها أنه كان يوما جالسا مع أفراد الطريقة وبعض العلماء وكان يذاكرهم, وفي أخر مذاكرته قال: "هذا الشيخ سيدي محمادي بلحاج, فإن ادَّعى الطريقة فقد أدَّى فيها المهر".

ومنها كان رضي الله عنه جالساً في محضر الفقراء والعلماء وأعيان الطريقة, فكانت المحاضرة كبيرة, فذكر الشيخ سيدي محمادي وقال: "هذا الشيخ سيدي محمادي بلحاج من بلد الريف مسجوناً على طريقتنا, فيستدعيه الحاكم الإسباني إلى المحكمة, فإذا حضر بين يديه يراوده على ترك الطريقة العلاوية واعتناق طريقة أخرى ويعده بإطلاق سراحه, فيقول لهم: "أرجعوني إلى السجن", ثم يضيف الشيخ: "والله لوكنت أنا لرميت هذه السبحة", وكانت السبحة في يده فرمى بها على الأرض.

ومنها كان رضي الله عنه جالساً يوما وبين يديه فقراء الريف, فكان يذاكرهم في شأن الشيخ سيدي محمادي حتى قال لهم: "إخواني, من عجز منكم عن زيارتنا لمعذر من الأعذار, فعليه بزيارة الشيخ سيدي محمادي بالحاج, فهو يدنا في بلد الريف".

هؤلاء الشهود كلهم سمعوا الشيخ يصرِّح بهذه الشهادات المتنوعة وكلها تصرخ وتلوِّح بتعظيم الشيخ العلاوي لتلميذه الشيخ محمادي بالحاج وباعتباره رجلاً فاضلاً شهماً لله وبالله, ومن لم يذعن فيعتبر عاقاً لشيخه ورجال الطريقة وأعيانها والفقراء الحاضرون. هكذا سمعوا من شيخهم سيدي احمد العلاوي الذي كان يسميه بصراحة الشيخ إمامهم توضيحاً لمرتبته العالية في طريقته.

كان فقراء الريف يحكون عنه ذلك طيلة مدة حياتهم بين العامة والخاصة, وبعض الحاضرين من أولئك الشهود الذين سمعوا من فم شيخهم لا زالوا على قيد الحياة يروون ذلك. وهكذا بقي رحمه الله وهو في السجن

يدعو الناس إلى الله ويدلهم عليه والسجن مفتوح وفي داخله الحضرة والذكر والسماع بالأشعار والإنشاد. كان السجن كزاوية من الزوايا, فما خرج من السجن رحمه الله حتى اجتمع له جموع غفيرة من الفقراء.

وهكذا قضى ما قدر الله له من مدة السجن حتى سفر الشيخ العلاوي لأداء فريضة الحج, حيث اجتمع بالديار المقدسة ببعض كبار المغاربة من بلد الريف كانوا موظفين من طرف الحكومة الإسبانية, فتكلم معهم في شأن هذا الشيخ لكي يتوسطوا له ويتشفعوا فيه لإطلاق سراحه. فلما رجعوا من فريضة الحج تكلموا مع المسؤولين بتطوان في شأنه, فأصدر الأمر بالإفراج عنه, فأطلق سراحه وخرج من السجن رحمه الله تعالى, وكان قد قضى في السجن سبع سنوات فتصورت له كسبعة أيام لِمَا كان فيه من الأنس بالله والاشتغال بذكر الله, لا يبالي بمرور الأيام ولا بالليالي ولا بعدد السنين, فما وهن لما أصابه في سبيل الله, وفي مثل هؤلاء يصدق عليهم قوله تعالى: ﴿**فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ (آل عمران, 146).

ولما خرج من السجن وهو في عز الله وعنايته وفاز بأعلى المراتب على كل مريد حيث جاهد وامتحن وصبر وفاز بالرضى من الله والرضوان, فاجتمع به الفقراء من كل جهة فرحين مسرورين بخروجه والإفراج عنه واحتفلوا بقدومه. ثم استدعاه حكام إسبانيا بالناظور فطلبوا منه المسامحة واعتذروا وقالوا له: "إننا غير ملومين, وإنما إخوانك المسلمين هم الذين وشوا بك حسداً منهم وتشفيا", فقال لهم: "إنني سامحتهم وسامحتكم". فشكروه على ذلك وقالوا له: "من الآن فصاعداً كلما ظهر عدو قد تسبب لك في الإذاية والسجن, فاستدعيه للمحكمة تأخذ حقك منه ", فكان جوابه رحمه الله: "أنا ليس لي عدو إلا الشيطان".

وحينما خرج وحان وقت الاحتفال العام السنوي بمستغانم, ذهب بخمسمائة فقير مصحوبين بهدايا عظيمة للشيخ العلاوي, وحصل للشيخ العلاوي فرح وسرور وابتهاج كبير بقدومه إليه مع تلك الجماعة العظيمة الموفقة على يديه, فلما وصلوا خرج الشيخ لملاقاته, وخرج معه كل من في الزاوية, فعانقه وأشار للفقراء بزيارته. وكان الفقراء يتزاحمون عليه, فلما احتفلوا بتلك الأشواق والأذواق وفيضان الأنوار وختم الاحتفال وأرادوا الانصراف, استدعاه الشيخ العلاوي إلى منزله وجمع كل ما توفر عنده من الهدايا المالية, فأعطاها له وأمره أن يؤسس بها زاوية في بلده على تخطيط زاوية مستغانم, فامتثل لأمره وبنى زاوية عظيمة في قبيلة بني شيكر قرية بني علي كما أمره شيخه حيث جعلها مقرا للدعوة إلى الله واجتماع للفقراء والوافدين إليه.

لما تم بناء الزاوية احتفل الفقراء بزاوية جديدة تأسست على التقوى وهدى من الله, وحضر الاحتفال عدد كبير من الرجال والنساء جاءوا من كل بلد ومن كل ناحية من بلد الريف وقبائل القلعية, فاستمر الاحتفال ثلاثة أيام, وفي أخر يوم من الاحتفال تقدم بعض العلماء للخطبة, وكان إرشاده للفقراء بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يزدادوا إيمانا ومحبة لهذه الطريقة الجديدة العلاوية التي أسعد الله بها بلد الريف, وشكروا ذلك الرجل الثابت الراسخ الذي تسب لدخولها ورفعوا أيديهم جميعاً سائلين الله تعالى طول عمره. ومن نظر في حياة هذا السيد الجليل لا يمتري في مشيخته وخليفته للشيخ العلاوي في شرق شمال المغرب وغيره, وقد شهد له بذلك أكابر من أصحاب الشيخ العلاوي.

وهذه أسماء المشايخ الذين شهدوا لسيدي محمادي بالمشيخة:

1. القطب سيدي مولاي سليمان الشريف الحسيني أكبر عارف في الطريقة العلاوية من جبل القلعية قبيلة بني بيافر.
2. الشيخ سيدي محمد المدني التونسي أكبر عالم للطريقة العلاوية.
3. الشيخ سيدي الحاج صالح بن عبد العزيز القادري البغدادي أول متجرد بالزاوية العلاوية بمستغانم.
4. الشيخ سيدي علي البوديلمي من العلماء المرشدين للطريقة العلاوية من مدينة تلمسان.
5. الشيخ سيدي علي الطراش من مدينة العيون ناحية وجدة.
6. الشيخ سيدي أبو مدين البودشيشي من ناحية بركان.
7. الشيخ سيدي المختار حديدوان من قبيلة كبداني.
8. الشيخ سيدي إدريس العرباوي من قبيلة العراب ناحية زايو.
9. الشيخ سيدي ج عمر من قبيلة بني بو يحيى بركان.
10. الشيخ سيدي ج. عبد القادر بن قدور من قبيلة بني بو يحيى ناحية أدوري.
11. الشيخ سيدي عمار بن مشيش من قبيلة سيدال.
12. الشيخ سيدي عبد القادر معنان من قبيلة بني بو يافر.
13. الشيخ سيدي الحاج الحسن الشكري من قبيلة شكار.
14. الشيخ سيدي بن عيسى المجرد من قبيلة فرخانة.
15. الشيخ سيدي الحاج محمد العلوي من مدينة الناظور.

16. الشيخ سيدي محمد الصغير من أنجال القطب قدور كركر من قبيلة تمسمان.
17. الشيخ سيدي بن عودة من ناحية الحسيمة من بني ورياغ.
18. الحاج العربي محمد من ناحية ترجيست بني مزدوى.
19. الشيخ سيدي الحاج المختار الغماري من مدينة شفشاون.
20. الشيخ سيدي أحمد الكواش من مدينة تطوان.
21. الشيخ سيدي أحمد الحصار من مدينة طنجة.
22. الشيخ سيدي أحمد الملوسي من مدينة القصر الكبير.
23. الشيخ سيدي محمد بلحاج الصنهاجي من ناحية فاس.
24. مولاي الطاهر التمسماني حفيد سيدي محمد قدور كركر.

هؤلاء المشايخ كلهم كانوا في صحبة شيخهم العلاوي وأخذوا عنه الفتح بذكر اسم الله الأعظم, وكان لهم اتباع اللذين لا زالوا على قيد الحياة, منهم من كان مأذونا لتلقين اسم المفرد للمؤمنين, وكان الفتح على يدهم في أقرب وقت, كلهم كانوا يشهدون لهذا الشيخ سيدي محمادي بلحاج بالمشيخة والقدم الراسخ في الطريقة, وهذا بالإضافة إلى ما كان يشير به إليه الشيخ العلاوي أيام حياته. ومنهم المذكورون من قبائل الريف, ولما انتقل شيخهم العلاوي إلى رحمة الله, رجعوا لصحبته وكانوا تحت إذنه إلى أن وفاه أجله رحمة الله عليه.

وقد أذن له شيخه العلاوي بتأسيس زاوية علاوية جعلها للإرشاد والدلالة على الله, وكان رحمه الله يستقبل فيها الوافدين عليه من كل مكان من الفقراء والعلماء والصالحين, وأسس فيها الجمع الأسبوعي في كل ليلة جمعة. كان يحضر في جمعه نحو مائتين فقير وبذلك اشتهرت الطريقة العلاوية في بلد الريف وانتشر صيته في جميع القبائل خصوصاً قبيلة فرخانة وبني شيكر, حيث كثر أتباعه في هاتين القبيلتين العظيمتين, لما وصلت الطريقة الجديدة عندهم استقبلوها رجالاً ونساء, وقد كانوا قبل ذلك في غفلة وجهل, فتبذلت أحوالهم في الحين, فكان في كل قرية من القر المجاورة للزاوية لا تجد فيها إلا ذاكراً الله وذاكرة سرا وعلانية, فقاموا للطريقة بأحسن قيام وأذعنوا للتربية, فرباهم بأحسن تربية وأدبهم وهذب أخلاقهم, وأخذوا عنه الآداب الحسنة والأخلاق الكريمة في جميع حركاتهم وسكناتهم وحتى في لباسهم, امتازوا على غيرهم بتلك الهيأة الحسنة التي كانوا عليها, فهي شعيرة من شعائر الصوفية ومظهر من مظاهر الإسلام, فكانوا ملتزمين بها أين ما كانوا وأينما نزلوا, واليهم يشير بعض الشعراء :

إذا نزلـــــوا بأرض كأنهــــــم أقمـــــار وفي عيـــون النـــاس كأنهــــم أزهـــــار

وفى ظــــلام الليـــــل كأنهـــم أمطــــار ومشهـــــــــدهم يصـــــــدق الواقـــــــع

وقد أدبهم بأحسن أدب في جلوسهم وقيامهم وخصوصاً إذا قاموا للحضرة بالسماع والذكر, فلا تسأل عن تخشعهم وتواجدهم بذكر الله, لا يجري على لسانهم في حركاتهم وسكناهم إلا ذكر لله, وإذا كانوا في لحظة اشتغال الفقراء (بالذكر) لا يتكلمون برفع الصوت بل بخفض الأصوات والحنانة واللطافة, وقد كانوا على نظام واحد وكانوا لا يتكاسلون ولا يتعب أحدهم في الحضرة.

وكان رحمه الله يخمر بنفسه في وسط حلقة الذكر لتهييج المحبة في الله العلي العظيم, وهو قوي في ذاته ولهجته يحرك الفقراء بحاله وكثرة شوقه لله, فإذا جلسوا من الحضرة كان يجود الآيات المناسبة للحال من القرآن الكريم, والفقراء حوله متواضعون خاشعون قلوبهم مملوءة بأنوار ذكر الله ومحبة شيخهم لا يتحرك منهم أحد ولا يجهر بالقول بين يديه لهيبته, وكان أحياناً يجلس على جنبه القطب سيدي مولاي سليمان رضي الله عنهما وكان يحبه حباً شديداً.

فهنيئا للفقراء العلاويين بهاذين القطبين الشريفين من بلد الريف, وكان إذا حضر الفقراء بين أيديهما مؤدبين شاخصين فيهما أبصارهم, وكانت سمة عناية الله ظاهرة عليهما ووجههما يتلألأ بالأنوار, فهما رجال الله الأخيار إذا تكلم أحدهما بالمذاكرة استقبلها الفقراء بأذن واعية, كلامهما حلو في القلوب, وأحرى مذاكرة الشيخ سيدي مولاي سليمان لما كان هو المذكر, فقد كان له أسلوب جذاب للقلوب في المذاكرة يوضح الكلام ويعيد المذاكرة مرتين أو ثلاثاً.

أخلاقه وسياحته وأواخر أمره

وكان هذا الرجل العظيم ذو الأخلاق الحسنة والأوصاف الكريمة, تقياً ورعاً زاهداً مثابراً على ذكر الله تعالى, شغوفاً ولوعاً بالدعوة إلى الله, وكان متواضعاً يخدم الفقراء بنفسه ويقوم بشؤونهم ويهيئ لهم الفراش بيده سيما أيام الاحتفال, ويستقبل الفقراء فرقة بعد فرقة, ويجلس معهم لا يتعاظم عليهم, ولا يرفع صوته فوقهم ولا يغضب على من أساء منهم, ويربيهم بالشفقة والرفق, وينفق عليهم كل ما كسب.

وكان رحمه الله كثير الصمت لا يتكلم إلا لضرورة, وكان إذا أقبل عليه أيام الاحتفال يبعث بالرسائل إلى جميع الفقراء يستدعيهم للحضور. وكان أحيانا يخرج للسياحة ليتعاهد الإخوان, غير أنه لم يكن يكثر ذلك في قبائل القلعية إلا لبعض المواضع منها, ومع هذا كان يذهب لتطوان وطنجة والقصر الكبير وسلا وغير ذلك من مدن المغرب. وكان يأذن للشيخ سيدي مولاي سليمان بالسياحة لجميع قبائل القلعية ويقول له: "جزاك الله عنا خيراً, قد تحمَّلت عنَّا هذا التكليف".

وعندما توفي شيخه العلاوي, قامت قيام الحسدة من بعض أصحاب الشيخ العلاوي الذين اشتركوا مع بعض الحسدة من أكابر قبيلة بني شيكر, فجعلوا يكيدونه ويتسببون له في الإذاية حسداً وبغضاً, وفي الآخر نصره الله عليهم فانقلبوا خاسرين, فترك زاويته في بني علي وانتقل لداخل الحدود بضواحي مليلية, فبنى بها زاوية أخرى واستمر على الإرشاد والدلالة على الله إلى أخر حياته, وكان الفقراء يأتون من كل ناحية ومن كل مكان يقصدون زيارته والتبرك به, وطلب الفتح على يديه بتلقين اسم الله الأعظم. ولازالت زاويته عامرة بولده البار رئيسا عليها سيدي الحاج ميمون.

كان رحمه الله مرشداً وداعياً إلى الله كما كانت سيرة شيخه العلاوي في مستغانم أيام حياته, إلى أن وافاه أجله المحتوم رحمة الله عليه عدد ما صبر وجاهد في سبيل الله.

وفاته

ولما دنا أجله كان صحيح الجسم ليس به ألم ولا علة ولا مرض فتوضأ وأراد النزول إلى مدينة مليلية, فخرج ومشى غير قليل ثم رجع مسرعاً, فأمر معلم الأطفال بتهيئة الفراش فاضطجع عليه مستقبل القبلة فخرجت روحه الطَّاهرة, فطار الخبر وانتشر من ساعته ولا سيما في القبائل المجاورة, فحضر الفقراء حالاً فأثَّر الأسى والحزن جميع الفقراء رجالا ونساء, الحاضرين منهم والغائبين, وجاء الشيخ سيدي مولاي سليمان بجماعة من الفقراء فجلس عند رأسه وكشف عن وجهه وقبله وقال له: "استودعناك في يد الله, لقد كنت مجاهداً", وكانت وفاته نهار يوم الخميس 11 من شعبان 1365هـ, 11 يوليوز سنة 1946م, ودفن يوم الجمعة من الغد بعد الصلاة.

وكان الذي تولى غسله هو الشيخ سيدي مولاي سليمان بمساعدة بعض الطلبة الصالحين, وبعد أن جهزوه خرجوا به بالجلالة واجتمع على جنازته جمهور الفقراء والناس لا يحصون كثرة ودفنوه بالزاوية بموضع خاص له كان قد أشار عليه للشيخ سيدي مولاي سليمان في حياته.

وعندما تم دفنه, وشعر الإخوان بفقد مرشدهم وناصحهم ومنعشهم, توجهوا جميعا إلى الشيخ سيدي مولاي سليمان, فجددوا عليه العهد ولم يتخلف منهم أحد. وعندما دفن وقعت نادرة وفي الحقيقة تعد من كراماته بعد موته, فقد حضر عميل إسبانيا وهو قائد قبيلة شيكر ومعه أسياده من الشرطة, فأمر الفقراء بإخراج الشيخ رحمه الله من قبره بزاويته ودفنه في المقبرة العامة, وبعد أن راجعه الشيخ سيدي مولاي سليمان وراوده وقال له: "إننا دفناه بزاويته اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي دفنوه الصحابة في بيته".

بعد التنبيه للقائد والإرشاد الوجيه, أصر القائد وأبى إلا إن يخرج الشيخ من قبره, ذهب بعض الفقراء في الحين إلى جنيرال مليلية الإسباني وشكوا أمر القائد, فأرسل إليه رسالة بانصرافه وقال له في الرسالة: "لا تقف دقيقة هناك", فانصرف ذليلاً خاسئاً حقيراً, وهكذا ذهب هذا الشيخ الطاهر كما ذهب شيخه العلاوي وذهب قبله وبعده شيوخ وشيوخ حتى لا يبقى على وجه هذه البسيطة أحد حين يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين, ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام.

القطب سيدي مولاي سليمان أصله ومسقط رأسه وبدايته

هو أستاذنا وشيخنا وقدوتنا العارف بربه والدال عليه مولانا الشريف الشيخ مولاي سيدي سليمان بن مولاي المهدي ابن اليزيد بن محمد بن عمر بن محمد بن العباس بن أبي القاسم ابن محمد بن علي بن موسى بن عيسى بن عبد الرحمان الودغيري بن يعلا بن عبد العلي بن أحمد بن محمد بن أعمار بن سليمان بن محمد بن مولانا إدريس دفين فاس بن إدريس فاتح المغرب بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن بن سيدنا عليٍّ وسيدتنا فاطمة الزهراء بنت سيد العالمين صلى الله عليه وسلم.

كان والده سيدي مولاي المهدي في الأصل بقبيلة القلعية عمالة الناظور, كان يركب على الفرس وله حظ وافر في الفروسية, وكان معظماً عند كافة الناس وعند القبائل ولا سيما قبائل الريف, وكان يصلح بينهم ويؤلف بين قلوبهم, وكانت أيام الحروب والفتنة تقوم بينهم وهو يقدم عليهم ويطفئ نار الفتنة.

وكان له سطوة عظيمة بين رجال وقته, إذا تكلم صمتوا وإذا أمرهم فعلوا, وكانت داره دار الضيافة والكرم يتكرم على كل من قصده, وكان الزوار يلتمسون منه الدعاء الصالح.

وكان هكذا ما شاء الله ثم انتقل إلى قبيلة الحياينة من عمالة فاس وتزوج بها واستوطنها وولد له سيدي هاشم ثم بعده ولد الشيخ سيدي مولاي سليمان. ثم رجع إلى قبيلة القلعية وترك الولدين مع أخوالهما بالحياينة وغاب عنهما سنين, ثم زارهما لأول مرة ولم تطل إقامته عندهما ثم رجع لبلاده.

ولما بلغ الشيخ سيدي مولاي سليمان عشرون سنة من عمره بعث إليه والده رسالة يستدعيه فيها للحضور عنده, فقدم إليه وزوَّجه بأرملة أخيه المتوفي سيدي مولاي الحسن الذي كان قد توفي من قريب العهد, ثم رجع الشيخ إلى مسقط رأسه الحياينة مصحوباً بزوجته.

ولما بلغ من عمره نحو ثمانية وعشرين سنة ذهب مع بعض الفقراء الدرقاويين لزيارة الشيخ سيدي عبد الرحمن الدرقاوي حفيد سيدي مولاي العربي الدرقاوي نزيل وقته ببوبريح من قبيلة بني زروال وكان ذلك سنة خمس عشرة وثلاث مائة وألف "1315هـ 1898م". وكان الشيخ أصغر الفقراء, ولما وصلوا إلى الشيخ سيدي مولاي عبد الرحمن الدرقاوي جعل يقول: "مرحباً بالحبيب مرحباً بالحبيب" كأنه يشير إليه وأجلسه إلى جنبه وسأل عنه الفقراء, ثم لقنه الورد العام.

حياته الصوفية واتصاله بشيخه الأول

وعقب انتسابه للطريقة, رجع لبلاد والده قبيلة القلعية حيث أقام بها واستوطنها واجتهد في العبادة وراوض نفسه وجاهدها حتى بلغ مبلغ الرجال, وقد قام بالطريقة الدرقاوية بالجد والحزم والاجتهاد, وكان طبعه السياحة على مجامع الإخوان, وكان الجمع في داره أينما سكن, وكان يرتحل إلى سكان القرى, من قرية إلى أخرى, وجميع الفقراء معه أينما كان يجتمعون عليه لذكر الله, وكان يقول الأناشيد حيث حفظ أناشيد جميع الصوفية, وله صوت قوي ويذاكر بالقوة والجد والحال, لا يتكاسل في الذكر ولا يمل.

وكان يصاحبه للسياحة جماعة من الفقراء, ومنذ خروجهم لا يفتر لسانهم عن ذكر الله, ويسهرون الليالي بالذكر والمذاكرة إلى صلاة الصبح. وكان رحمه الله يطالع كتب الصوفية وله ذوق وحلاوة فيها خصوصاً رسائل الشيخ سيدي مولاي العري الدرقاوي, كان يقرأها على الفقراء بصوت عال وبالحال. وعاشر رحمة الله أخيار العلماء, وكان من طبعه يسال عن أمر دينه ويحفظ ويعمل, وكان يتردد على شيخه في الزيارة المرة بعد الأخرى من القلعية إلى بني زروال على قدميه ومعه جماعة من الفقراء, كان شغلهم ذكر الله والجلالة في الطريق وسفرهم كان بالمرور من قبيلة إلى قبيلة إلى بني زروال.

وكان شيخه سيدي عبد الرحمن يجله ويعظمه ويسميه فحل الطريق, وقد زار شيخه في مدة صحبته خمسة وعشرين مرة. قال سيدي مولاي سليمان رحمه الله تعالى: "كنت جالسا على جنب سيدي مولاي عبد الرحمن, فوضع يده على كتفي في وسط جماعة الفقراء وقال لهم: "هذا فحل الطريق, قولوا جميعا... والله هذا فحل الطريق", فقالوا جميعا: "والله فحل الطريق". وقال مرة رحمه الله: ""كنا عند الشيخ سيدي مولاي عبد الرحمان أيام الاحتفال فاستأذناه للسفر, وشيَّعنا وكنت على جنبه أمام الفقراء, وسألته قائلا: ""سيدي هذه الطريقة فيها معرفة الله ونطلب نصيبا من ذلك", فقال لي: "وأنت اذكر الله حتى تأتيك معرفة الله ", فعرفت إشارته للمستقبل".

وكان لسيدي مولاي سليمان رحمه الله سطوة عظيمة في الطريقة الدرقاوية, حيث كان الإخوان كلهم يحبونه ويعظمونه إذا جلس بينهم أو حضر في جمعهم, ويقول الأناشيد الصوفية, وكان يعز الوقت بذكر الله ولا يتكلم في أمر الدنيا ولا يحب أن يسمع للإخوان كلامهم فيما لا يعني بمحضره. وهكذا كان حاله واجتهاده في الطريقة الدرقاوية البوبريحية.

وعندما توفي شيخه مولاي عبد الرحمن, رحل لمستغانم للأخذ عن الشيخ أحمد سيدي العلاوي وكان السبب في ذلك اتصاله بالولي الصالح المرحوم برحمته الواسعة الشيخ سيدي محمادي بالحاج الطاهر, فقد اتصل به في بعض سياحته وذكر له الشيخ العلاوي وأوصافه وأحواله وعلمه الظاهر والباطن, ثم أعطاه ديوانه المنشود بلسان حاله فتلقاه بتلهف وشوق كامل, فجعل يقرأه وينتعش معناه حتى غاب عن حسِّه ووجوده وعن هذا الكون كله إلى أن صار لا يعقل شيئا من الكائنات ونزل به أمر عظيم, ثم حملوه إلى فراشه بدون أن يشعر بما حلَّ به وبما فعلوا به, فلما أفاق وجد نفسه مشتاقا لملاقاة صاحب الديوان صاحب الفيوضات الربانية الشيخ العلاوي رضي الله عنه.

وذكر عن نفسه أنه كان إذا فكَّر في الذهاب إليه قويت عليه الواردات والخواطر, بعضها تحول بينه وبين ملاقاة الشيخ وبعضها تشجِّعه, يقول الشيخ سيدي مولاي سليمان: "وبينما أنا على هذا الحال والخواطر تتوارد عليَّ إذ رأيت ليلة في منامي الشيخ سيدي مولاي عبد الرحمن الدرقاوي يقول لي: "هات رسالتي التي عندك", فأخرجتها له واستلمها بيده, ثم وقَّع عليها بإمضائه ودفعها لي".

فلما استيقظ عبَّر الرؤيا بالإذن في تجديد الطريقة, وإن الذي أَهْتَمَّ به فيه خير له, فتأهب لزيارة الشيخ العلاوي وأخذ معه رفيقاً وذهب لمشاورة الشيخ سيدي محمادي بالحاج وكان مسجونا في مدينة مليلية وقتئذ, فلما دخل عليه في السجن وجد معه جماعة من الفقراء, ففرح الشيخ سيدي محمادي فرحاً فوق ما يتصور, فاخبره بأنه عزم على الذهاب لمستغانم لملاقاة الشيخ العلاوي ولتجديد نسبة الطريق عليه, فزاده بهجة وفرحاً وسروراً على تلك الملاقاة العزيزة المشتاقة, فبادر بقرطاس ودواة وسجل له رسالة ودفعها له وأكَّد عليه وقال له: "مَكِّنها بيد الشيخ", ثم صاحبهما من داخل السجن وشيَّعهما إلى خارج السجن, وكان مسموحاً له في ذلك كما ذكرت في ترجمته سابقاً, فلمَّا أراد أن يفارقهما عانقه وضمه إلى صدره ضمَّة المحبة والوداد وكثرة الصداقة والمدد.

فذهب سيدي مولاي سليمان ورفيقه إلى ما قصدا, فلما وصلا إلى مدينة مستغانم دخلا لملاقاة الشيخ سيدي أحمد العلاوي.

يقول سيدي مولاي سليمان عن تلك الملاقاة: "وجدت معه بعض الفقراء وبعض العلماء, فلما دخلت عليه, سلمت له رسالة الشيخ سيدي محمادي, ففرح بالرسالة فرحاً شديداً, فلما فتح الرسالة قرأها ثم شخَّص بصره فيَّ, وقال لي: "أن الشيخ سيدي محمادي يثني عليك خيراً كثيراً ويوصي بالاعتناء بك, فرحباً بك", قلت له:

"يا سيدي طريقتكم تحتاج إلى المهر, ونحن فقراء ليس لنا ما نؤدي به المهر", فقال لي رحمه الله: "قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ (التوبة, 60), فقالت له: "يا سيدي جئناكم لنأخذ منكم معرفةً معها السلامة", فلمَّا سمع الشيخ مني هذا الكلام رفع يديه وكل الحاضرين فقال : "اللهم ارفع الحجاب عن إخواننا".

فسقاه بنظرته ففاضت عليه الأنوار وشعر بحياة أخرى جديدة روحانية تغشى قلبه.

وكان اتصاله بالشيخ العلاوي لأول مرة سنة خمسين وثلاثمائة وألف "1350هـ, 1932م", وكان له من العمر ثلاث وستون "63" سنة, فهكذا تكون صحبته لسيدي مولاي عبد الرحمن الدرقاوي رحمه الله تعالى خمساً وثلاثين "35" سنة.

وبقي في صحبة الشيخ سيدي أحمد العلاوي يتردد على زيارته المرة بعد الأخرى وازداد جداً واجتهاداً ومجاهدة وعبادة. وعند اتصاله بالطريقة العلاوية أدرك فيها سراً عظيماً في مدة قريبة لم يدركه السابقون منه بسنين عديدة, وقد أشار في بعض الأبيات من قصائده المجموعة في ديوانه إلى لحظة اتصاله بشيخه سيدي العلاوي قال في مطلعها:

فقد سقاني الطبيب العلاوي قطب الحبيب ... أيقظني من نومي وكنت عنه غفيل

وقفت في بابه وشوقي لقربه ... تمسكت بالذل في جنب لقائه

وقفت في حماه بفقري واحتقاري ... دنوت من قربه بالذل وانكساري

وكان رحمه الله في غاية الاستقامة في حياة شيخه سيدي العلاوي إلى أن توفي رضي الله عنه.

ثم لزم خليفته ببلاد الريف العارف بالله الشيخ سيدي محمادي بالحاج, وكان في صحبته في زاوية بني علي كما كان معه بمدينة مليلية بزاويته الموجودة حتى الآن, وكان يرافقه عند حضوره ويزوره عند غيابه عنه ويحضر دائماً في مجامعه وتجري بينهما مذاكرات طويلة. وكانا أحيانا يخرجان من الزاوية ويجلسان يتذاكران من بعد صلاة العشاء إلى صلاة الصبح, وكانت حياتهما سعيدة وأيامهما طيبة, وكانت المذاكرات بينهما تدور حول علوم الإشارة والحقائق لأن مشربهم كان واحداً, ولذلك كانا رحمهما الله لا يحبان الفراق عن بعضهما حتى قال له الشيخ سيدي محمادي: "أريد من فهمني وفهمته ألا يفارقني ولا نفارقه"

وكان الشيخ سيدي محمادي يقدم من مليلية إلى الناظور مراراً لملاقاته وللمذاكرة معه في تلك المذاكرات التي لا تقوم الطريقة إلا بها, وكان يأذن له للسياحة, فخرج مع جماعة من الفقراء من قبائل الريف لنشر الطريقة وتذكير الفقراء والإصلاح فيا بينهم ويوضح لهم مسالك الطريق بالرفق وحسن الخُلق, وبذلك سلب قلوب الفقراء الذين سبقوه للطريقة بحلمه إلى أن أخذوا بصحبته يأخذون منه أحوال الطريقة وأخلاق التصوف. وكان يقول له الشيخ سيدي محمادي: "جزاك الله عنَّا خيراً, لقد حملت عنا عبئاً ثقيلاً في الطريقة".

وهكذا بقي في صحبة هذا الخليفة الشيخ سيدي محمادي إلى أن توفي رحمه الله تعالى ورضي عنه.

استقلال الشيخ سيدي مولاي سليان بالخلافة

ويعد أن توفي الشيخ سيدي محمادي بلحاج رحمه الله تعالى ورضي عنه, استقلَّ بنفسه وانخرط في سلك طريقته أكثر الفقراء ورجع إليه أفراد الطريقة ولزموه واجتمعوا عليه وسلموا له الإرادة لما كانوا يلمسون فيه الصلاح والاستقامة والاجتهاد في الطريق ولزوم رسومها, ودخل كثير من الناس الطريق على يديه حتى أصبحت القبائل المجاورة لمدينة الناظور تزخر بأصحابه وأتباعه.

وكان رحمه الله يخرج للسياحة إلى جميع قبائل القلعية ويصحب معه بعض الأفراد للطريقة وجماعة من الفقراء, فإذا نزل بقرية من القرى أمر الفقراء بذكر الجلالة بأعلى صوت, فإذا وصلوا إلى ديار الفقراء دخلوا بالذكر جماعة بصيغة واحدة بمدائح نبوية كقولهم:

يا عـــين الرحمـــة محـــــــمد يا عـــين الرحمـــة محمـــــد
يا عـين الرحمـة سـيدي أحمـد صـلى الله عليـك يا سـيدي

وعند دخول المنزل, إذا وافق الدخول وقت صلاة من الصلوات أدوا الصلاة الفرضية أولاً, وإن لم يوافق شرعوا في العمارة أو الحضرة, فهكذا كان وصفه لدخول منازل الفقراء.

وكان رحمة الله عليه يقول أناشيد الحضرة, وله ميزان ونغمات وصوت حسن جوهري, فإذا حضرت الصلاة صمتوا وأمر المؤذن أن يؤذن في باب المنزل, فاذا ختم الأذان تقدم بنفسه للصلاة أو يأمر بعض الفقراء للتقدم, فإذا تمت الصلاة قرأ سورة الواقعة ثم دعاء الشيخ (العلاوي) ثم اللطفية, وبعدها يشرع في الذكر ثم

القيام للحضرة. وإذا أذن له بالخروج, خرجوا كذلك بالذكر جماعة وبصيغة واحدة وبصوت واحد وبمدائح نبوية كما فعلوا في الدخول, وهكذا كانت حالته وحياته إلى أن لقي الله تعالى.

ولا زالت تلك الحالة والعادة والسيرة الحسنة التي كان عليها بين الإخوان إلى الآن, وكان رحمه الله ذا أخلاق كريمة وشمائل طيبة, وكان عابداً زاهداً متواضعاً ورعاً كريماً حليماً شفيقاً على الضعفاء, ويحب كثرة الجلوس مع الفقراء ويتذاكر معهم بالرفق وحسن الموعظة, وكان كثير البشاشة لم يضحك أبدا بالقهقهة إلا بالتبسم كما كان عليه النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم, وكان ينصح في ذات الله ويبذل جهده الواسع في النصائح لا تأخذه في الله لومة لائم, وكان معرضا عن الدنيا ومقبلا على الله وعاملاً للأخرة وملازماً للتجريد لا يملك شيئاً من الدنيا, وإذا وجد شيئاً في يده أنفقه على الإخوان.

وكان وصفه الجود والكرم, وكان صدره متسعاً منبسطاً ولم يكن ضيقاً ولا غاضباً ولا فظاً ولا غليظاً, ولكن كان ليناً شفيقاً حليماً صابراً راضياً بما قضاه الله, متوكلاً على مولاه, دائم الصمت خاشعاً ناصحاً لعباد الله تعالى, يصحب الفقراء بلين ورفق فلا يغضب على أحدهم إذا أساء في حضرته ولكن يذكره برفق, وأهم شيء كان لديه إقامة الصلاة, وكان يأمر بها وبالمحافظة عليها في أوقاتها كثيراً حتى أنه كان إذا حضر وقت الصلاة نادى وسط الدار أهله وأولاده "الصلاة, الصلاة ". وكان إذا رأى من أحد أولاده تضييعاً للصلاة غضب غضباً شديداً حتى لا يقوم لغضبه شيء, وكان يأمر كل من أتاه بالمحافظة على الصلاة ويقول "من ضيعها فليس منَّا ولسنا منه", وكان يرشد إخوانه إلى الإكثار من ذكر الله تعالى والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم, ويقول لهم: "إذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سمعتم شمائله شَخِّصوا صورته الشريفة في أذهانكم واستحضروها في قلوبكم لتعظيم محبته في قلوبكم, فإذا عظمت رأيتموه بتوفيق الله تعالى".

وكان رحمه الله يذكِّر الفقراء بقرب الموت والإقبال على الآخرة ويأمرهم بتعلم أمر دينهم ويقول لهم: "أسألوا عن الفرائض والسنن وحققوا عبادتكم لأن الله تعالى العليِّ العظيم لا يعبد بالجهل وإنما يعبد بالعلم والمعرفة".

وكان رحمه الله يحب المذاكرة في علم الإشارة والحقائق وله ذوق وحلاوة فيها, ويحب أن يسمع إنشاد الحقائق ويقول: "من لم يفهم هذه المذاكرة ولم يبحث فيها, فهو معدم لم يُخْلَق عند القوم".

وله رحمه الله تعالى قصائد في الطريق تشتمل على حقائق ومعاني رقيقة, وله حكم وكلام مؤثر, وقد نظم نحواً من مائتين وأربعين "240" قصيدة في التوحيد والحقائق الإلهية وعلم الإشارة والمدائح النبوية, وكان يقول

رحمه الله تعالى: "من تفكر في هذه القصائد وأمعن النظر فيها وجال بفكره في معانيها, جاءه الفتح من قريب لأنها تقوم مقام الاسم المفرد".

ومن أخلاقه الكريمة أنه كان إذا حضر في مجلس بعض المنكرين سكت ولزم الصمت ولا يتكلم أبداً, وإذا أنكر عليه أحد لا يجيبه, وكان إذا حضر إليه حفظة القرآن يكرمهم ويحترمهم ويأمر الفقراء باحترامهم, وإذا جاءته هدية دفعها إليهم تعظيما لحملهم القرآن العظيم.

ومن خصائصه الحميدة أنه إذا أرادا التحدث توضئ في حينه سواءً من ليل أو نهار, وتلك هي خاصية المؤمن الصادق, وكان يلقن الفقراء الاسم المفرد زيادة على الأوراد العامة للطريق, وكم من واحد فتح الله بصيرته على يديه وتطهرت سريرته بنظرته إليه, وكان طبيب النفوس ومربي القلوب عارفاً بعيوبها, وكان يطيل الجلوس في محضر الفقراء ويأمرهم بكثرة الذكر ويقول لهم من الحكم والوصايا تتأثر بها القلوب فمنها:

- "أكثروا من لا إله إلا الله حتى تلين بها ألسنتكم وتتآلف عليها قلوبكم"
- "إن الغفلة عن الله هي أعظم المصائب, وإذا غفل الفقير عن الله استولت على قلبه وساوس الشيطان"
- "إذا حضر الذكر ذهب البأس, وإذا غفل الفقير عن الذكر حضر اليأس"
- "الجمع رحمة والفرقة عذاب, فاذا اجتمع الإخوان فهم في عز ونشاط, وإذا افترقوا كانوا في ذل وإهانة".
- "إذا لزم الفقير الجمع مع إخوانه جاءه الفتح من ربه, وإذا تخلَّف عن جمع إخوانه أخذه الشيطان ولعب به بين أقرانه ".
- "إني أكره الفقير الصامت عند المذاكرة كراهة بالغة, الفقير بالمذاكرة كالماء الجاري, والفقير بلا مذاكرة كالماء الحابس"
- "تذاكروا في طريقتكم مدة حياتكم, لأن المذاكرة روح الطريق, الطريقة بلا مذاكرة كجسد بلا روح"
- "استحضروا المحبة والأفكار, الفقير بالمحبة طيَّار, والفقير بلا محبة سيَّار, المحبة تطوي المراحل ما لا تطويه الأعمال"
- "الفقير المحب للدنيا لا ينتج منه شيء, والفقير إذا استولى عليه الحسّ أخذ قلبه وجوارحه, وإذا أخذه ذهب مع الذاهبين, فأجرنا وأجره على رب العالمين".
- "ذكر الله نار يحرق المساوئ ويهذب الأخلاق ويبدل الأوصاف المذمومة بالأوصاف المحمودة الحسنة".
- "من لم يكن في الزيادة فهو في النقصان, ومن كان في النقصان فالموت أولى به".

- "من عظَّم الإخوان استمدَّ منهم وفاز فوزاً عظيماً, ومن استحقر الإخوان خذلته نفسه وخسر خسرانا مبينا".

وكان رحمه الله كثير البكاء, فاذا سالت عيناه بالدموع جعل يمسح الدموع على وجهه ويقو: "هذا بكاء المحبة".

وكان رحمه الله يحب الخمول ولا يحب الشهرة أو الرفعة, وكان كل من جالسه مهموماً مقبوضاً لا يقوم من عنده إلا فرحا مسروراً, وأكثر ما كان يقول في سؤاله وتضرعه إلى الله: "يا رب فرطنا وضيعنا حقوقك فاقبل علينا بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين".

وكان رحمه الله إذا أقبل عليه الإخوان بالجلالة "لا إله إلا الله" يفرح بها ويقول: "مرحبا بالفرح والسرور, لا إله إلا الله", ويقول: "يكون يوم ورود أهلها عليكم يوم عيد ويوم سعيد ويوم غنيمة".

وحكى يوما كرامة وقعت له فقال: "كنت جالساً يوماً من الأيام تحت شجرة فإذا برجل أقبل عليَّ وهو طويل القامة ووجهه أحمر وعليه ثوب مزوَّق وألوان مشكلَّة, فلمَّا رأيته وتحققت فيه ونظر إليَّ, غُشِيَ عليَّ, فلمَّا أفقت من سكري لم أجد الرجل, وصرت أفكر من هو هذا الرجل فجاءني, وارد وقال لي: "هذا هو الخضر عليه السلام".

وكان رحمة الله عليه يهتم كثيراً بأمور المسلمين, يفرح لفرحهم ويحزن ويتأسف لما يصيبهم وينزل بهم, وإذا سمع بنزول محنة ومصيبة أصابت المسلمين, دعا وأمر الإخوان بإخراج اللطفية, وإذا بلغه موت مسلم ذكراً كان أم أنثى أمر الإخوان بالاجتماع فيخرجون له الفدية ثم يدعو معه بالرحمة والمغفرة.

وكان في أخر حياته قد ضعف جسمه وذهبت قوته, فذهب مرة ليتوضأ فسقط على الأرض فتكسرت رجله اليسرى, فلزم من ذلك فراشه وجعل الإخوان يحملونه بينهم إذا أراد الخروج للزاوية وهو رضي الله عنه على هذه الحالة العاجزة عن القيام, ومع ذلك يأمر بالخروج للسياحة أو غيرها.

وبالجملة, كان رحمه الله ورضي عنه من الممثلين للطريقة الصوفية الحقيقية وخصوصاً الطريقة العلاوية التي امتازت عن غيرها بامتثال بعض السنن النبوية التي عمل بها الشيخ العالم الجليل والقطب الرباني الأصيل سيدي أحمد العلاوي, كوضع اليد على اليد في الصلوات المفروضة والنافلة, وكذلك الهيللة عقب التسليم ثلاثاً وغيرها من السنن. وعلى الرغم من تأخره عن الأشياخ المتقدمين قام بالامتثال بالعمل بها بهيأتها وقواعدها بأحسن قيام لم يغير منها ولو شعرة واحدة على ما أدركه من زينة الدنيا وزخارفها فبقي صامداً ثابتاً إلى آخر عمره رحمه الله.

وصيته ووفاته رحمة الله تعالى عليه آخر حياته من الدنيا الفانية

كان رضي عنه في آخر أيامه بعد المائة "100" سنة, لا يقدر على الأكل ولو شيئا من الطعام لكثرة ضعف جسمه النحيف وذهاب قوته إضافة على تكسر رجله اليسرى. وكان الفقراء لا يصبرون على تفقد جسمه الطاهر من بين أظهرهم, فكانوا يأتون إليه ويحملونه بينهم ويخرجونه للزاوية ويضعونه بينهم ويتمتعون بالنظر إلى وجهه المشرق بالنور الوهَّاج وينتعشون بهيأته الممتعة, فتنشرح صدورهم به وتنهض أحوالهم وتخشع قلوبهم وتهتز أرواحهم برؤيته للعالم الأسنى, وعلى ذلك تأسس جمعهم, ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فلما دنا أجله المحتوم رحمه الله تعالى وأحسَّ بقرب وقت السفر الدائم, وما كان قد بقي من عمره إلا ثمانية أيام كما تحقق ذلك الموعد بالواقع, استدعى حفيده القاضي الفقيه سيدي الحاج العربي الورياشي رحمه الله, فلما حضر بين يديه أدَّى له وصية موضحة تحتوي على ثمانية نقاط :

1. أنت تغسلني بيديك والذي يصب لك الماء هو الفقيه الكزناي هو حامل القرآن ومعه رجل من الصالحين وهو سيدي علي.
2. فإذا غسلتموني وحنطتموني فادرجوني في الكفن وأدخلوني للزاوية وأخروني في النعش إلى يوم الجمعة ليجتمع ويترحم عليَّ الإخوان والأخوات.
3. أعلموا الفقراء, ويبلغ الشاهد منكم الغائب أينما كانوا في جميع القبائل ليشهدوا جنازتي ويصلون علي ليكثر الدعاء والترحم.
4. لا تدفنوني قبل الجمعة فيكون الدفن يوم الجمعة بعد الصلاة, وأمر الفقيه هو الذي يصلي عليه.
5. أن يحفروا له القبر داخل الزاوية الكبرى جهة الأيسر, لأن ترابه لين فيسهل عليهم الحفر.
6. وصَّى على زوجته فقال: "كل ما هنا في هذا البيت الذي أنا ساكن فيه من الأثاث وغيره فهو هدية لها, فمن أخذ لها منه شيئاً خاصمته يوم القيامة أمام الله".
7. قال فيها: "ما تركت في هذه الدار إلا "لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله", فلم أترك فيها شيئاً من الدنيا ولا المال, فمن أراد أن يذكر الله تعالى فليفعل, ومن أراد شيئاً أخر كان من المعتدين.
8. وصَّى الفقيه على ذلك الرجل وهو العبد الضعيف اليزيدي (المؤلف صاحب هذا الكتاب) قال له: "هو الذي يكون إماما لزاويتنا للصلاة بالفقراء لأن معه نصيباً من القرآن وله إلمام ومعلومات بمصالح الزاوية".

وهكذا انتهت وصاياه النيرة الموجهة سامعها وواعيها والعامل بمقتضاها ومن خالف أمرها فلا يلومن إلا نفسه, فكان رحمه الله تعالى من أعلام مشايخ الشمال الشرقي من مغربنا فلا ثاني له في حياته.

توفي رضي الله عنه على الساعة الخامسة من يوم الخميس **17** شوال عام **1390**هـ, **17** دجنبر سنة **1970**م, وله من العمر مائة عام وثلاث "**103**", رحمة الله تعالى ورضي عنه.

انتهى بعونه تعالى.